الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون بتيارت
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم : العلوم الإنسانية
تخصص: تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط

مظاهر البذخ والترف في حياة أهل الغرب الاسلامي
(الأسباب والتداعيات)
من القرن الثالث إلى القرن السابع هجري

مذكرة لنيل شهادة الماستر في شعبة العلوم الانسانية

إعداد الطالبتين:
- دربال جميلة
- خلادي خيرة

الأستاذ المشرف :
-د. شعلال إسماعيل.

أعضاء لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة	الصفة
د.طويلب عبد القادر	أستاذ محاضر أ	رئيس اللجنة
د. شعلال إسماعيل	أستاذ محاضر أ	مشرفا
د.كوريب عبد الرحمان	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2022/2021

كلمة شكر

نحمد الله أولا على نعمة الإسلام وكلمة الإخلاص ،ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونشكره على عطاؤه على أن أرسل لنا نبي الرحمة لنسير على خطاه ونكون خير أمة مثقفة ومتعلمة فيه العالم والمفكر والفقيه، لذا بكل فخر واعتزاز نقول شكرا للسيد الدكتور / **شعلال اسماعيل** الذي تفضل مشكور للإشراف على هذه المذكرة والتي أحاطنا بتوجيهاته العلمية خلال مختلف مراحل البحث العلمية، والى كل السادة الدكاترة / لجنة المناقشين ،سدد الله خطاهم ووفقهم في إكمال رسالتهم النبيلة. كما نتوجه بالشكر إلى كافة أساتذتنا الكرام بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة ابن خلدون تيارت، على ما قدموه لنا.

إهداء

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد

والنجاح بفضل الله تعالى

مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما

لكل العائلة الكريمة صغيرا وكبيرا ،

لكل الأصدقاء رعاهم الله ووفقهم

إلى كل من كان لهم أثر على حياتنا

إلى كل حامل لواء العلم والمعرفة

خيرة وجميلة

مقدمة

شهد الغرب الإسلامي تطورا ورقيا منذ الفتوحات الإسلامية في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وامتدا هذا لتطور والازدهار عبر العصور والحضارات.

ولقد ساد في مجتمع الأندلس والمغرب الثراء والرخاء والنعيم خاصة في بلاط السلاطين والأمراء، ونتيجة لذلك ظهر مجموعة من المظاهر، التي تمثلت في البذخ والترف، وعرف هذا الأخير على أنه الإسراف والتبذير، المفرط والتكلف دون الحاجة. وهذا ما دفع فضولنا للبحث في هذا الموضوع : مظاهر البذخ والترف في حياة أهل الغرب الإسلامي (أسباب وتداعيات).

وتكمن أهمية موضوعنا في إظهار والكشف على حياة البذخ والترف عند أهل الأندلس والمغرب وكيف ساهم في انحلال بعض القيم الإسلامية وأهم من اشتهر به خلال فترة الحكم واخترنا البحث في الموضوع وذلك لميلنا الشديد والملح لدراسة تاريخ حياة أهل الغرب الإسلامي (الأندلس والمغرب) وما شهدوه من مظاهر غير مرغوب فيها.

وهذا ما رغبنا في الاطلاع والتعرف وإذا جئنا إلى الدراسات السابقة المتخصصة في حياة البذخ والترف في الغرب الإسلامي فيمكن قول أننا لم نعثر على بحث سوى رسالة ماجستير صاحبها محمد عيساوة بعنوان حياة الترف والبذخ وانعكاساتها على المجتمع الأندلسي خلال القرن الرابع والخامس هجري تناول صاحبها معاني الترف وعلاقته بالغنى والإسراف، ومصادر الثروة للأندلس دون التخصيص فيه أو ذكر البذخ وهذا ما دفعنا إلى التعمق أكثر في موضوع البذخ والترف .

إضافة إلى هذا البحث هناك بحوث عن البذخ والترف في الأندلس والمغرب وهي دراسات عامة في أزمنة مختلفة.

فموضوعنا يطرح ويعالج الإشكالية التالية :ما هي أسباب ومظاهر البذخ والترف في حياة أهل الغرب الإسلامي من القرن (3 . 7 هـ) ؟

ومن خلال الإشكالية المطروحة التالية الذي يندرج ضمنها مجموعة من التساؤلات الفرعية :

- ماذا نقصد البذخ والترف ؟ وهل لهما نفس المعنى ؟
- فيما تمثلت أهم مظاهر حياة البذخ والترف في المغرب ؟
- فيما تمثلت أهم مظاهر حياة البذخ والترف في المجتمع الأندلسي ؟
- ما مدى تأثيرات البذخ والترف على المجتمع الأندلسي والمغربي ؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة وإجابة على فروعها اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي يجمع المادة العلمية واستخلاص بعض حقائق التي تمحورت في الحياة الاجتماعية للمغرب والأندلس تحليلي والمقارن الذي من خلاله قارنا فيه بين الأندلس والمغرب .

واستعملنا الوصفي في وصف الملابس والأكل والعادات التقاليد التي كانت في المجتمع الأندلسي والمغربي. دراسة عملنا السرد هذا المنهج طبقا لما جاء فيه من معلومات حيث لا يمكن الاستغناء عنها في الكتابة التاريخية.

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع والأهداف المرجوة منه اتبعنا خطة بحث، من فصل تمهدي وفصلين، فالفصل التمهيدي عنونا بلمحة تاريخية عن البذخ والترف، درست فيه تعريف اللغوي والاصطلاحي للبذخ والترف والترف في القرآن والسنة، نماذج عن الصحابة رضي الله عنهم، والنماذج عن الدولة العباسية والدولة الأموية، ولمحة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية السائد خلال حقبة الدراسة.

- **الفصل الأول** : فقد جاء معنونا بمظاهر البذخ والترف في المغرب خصصت في كل مبحث للحديث عن مظاهر الترف والبذخ عند المرابطين والمحبث الثاني خصص أيضا تحدثنا فيه عن مظاهر الترف والبذخ عند الموحدين والصنهاجة .

- **الفصل الثاني** : خصصت بمظاهر البذخ والترف في الأندلس، احتوى المبحث الأول على الدولة العامرية على عهد الخلافة الأموية، وجاء المبحث الثاني للحديث عن ملوك الطوائف والمبحث الثالث مظاهر البذخ والترف عندالمرابطين .

وفي نهاية البحث خاتمة وهي عبارة عن استنتاجات التي توصلنا إليها، ثم ألحقت البحث ببعض الملاحق والفهارس رأينا ضرورتها لتعم فائدة والانجاز العمل تتبعنا بعض المصادر والمراجع المادة المتمثلة في :

المصادر :

- مقدمة ابن خلدون للمؤلف عبد الرحمان ابن خلدون الذي أفادنا في الفرق بين الخلافة والملك.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، للمؤلف لابن أبي زرع الفاسي، الذي استفدنا منه في التعرف عن ملابس بدولة المرابطين.
- وكذلك مصدر وفيات الأعيان وأنباء الرمان للابن خلكان أبو العباس أحمد بن شمس الدين، الذي عرفنا على الطعام والشراب في المغرب.

- تفسير القرآن الكريم لابن الكثير، أفادنا في الترف في السنة النبوية .

- الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس لابن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط، أفادنا في ذكر بعض الاحتفالات في دولة المرابطين .

المراجع :

- الترف لمحمد صالح المنجد، أفدنا في تعريف الترف اصطلاحا .

- الترف وأثاره في دعاة والصالحين، لمحمد موسى الشريف، الذي عرفنا على خلفاء الراشدين رضوان الله عليه يضربون الأمثال في محاربة الترف .

- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، حسن علي حسن الذي أفادنا لدولة المرابطين في المغرب .

- المغرب والأندلس في عصر المرابطين، إبراهيم القادري بوتشيش، وقد أخذنا منه المظاهر الترف الاجتماعية للدولة العامرية .

- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي لحسن يوسف دويدار، أفادنا في مظاهر الترف الاجتماعية في الجواري .

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أبو عباس أحمد، أفادنا في الاحتفالات العسكرية في دولة المرابطين.

- معالم تاريخ المغرب والأندلس لحسن مؤنس، أفادنا في بعض الملاحق في الأندلس.

من الصعوبات التي واجهتنا في إعداد موضوعنا :

- كثرة المادة العلمية في هذا الموضوع إلا أنها غير متوفرة أي أنها غير مذكورة بوصف دقيق لحياة البذخ والترف في الأندلس والمغرب إلا بالإشارة إليها في بعض المصادر والمراجع .

- ورغم توفر المادة العلمية في مجال دراسة تخصصنا إلا أننا لم نعثر على مفهوم البذخ اصطلاحا ولاسيما وجدناه لغويا، وخلال دراستنا واستنباط وجدنا أن مفهوم البذخ اصطلاحا أن معناه يصب في نفس معنى الترف

الفصل التمهدي :
لمحة تاريخية عن البذخ والترف

1 . تعريف الترف

2 . تعريف البذخ

3 . الترف في القرآن الكريم

4 . الترف في السنة

5 . زهد حياة الصحابة على عهد النبوة

أ . زهد النبي صلى الله عليه وسلم

ب . مسكن ولباس وطعام النبي صلى الله عليه وسلم

6 . مفهوم الترف عند المسلمين

7. الفرق بين الخلافة والملك

8 . نماذج عن كبار الصحابة رضوان الله عليهم

أ . أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ب . عمر بن أبي الخطاب رضي الله عنه

جـ . الأمين عثمان بن عفان رضي الله عنه

د علي بن أبي طالب رضي الله عنه

هـ . أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

ر. يزيد بن معاوية(60 . 63 هـ/680 . 683م)

9 . نماذج عن الدولة الأموية والدولة العباسية

أ . العهد الأموي

ب . الخلافة العباسية

. إنجازات عبد الرحمان ناصر

10. الفتوحات وتأثير ذلك على المسلمين فتح الشام وفارس

أ – فتح بلاد الشام

ب – فتح بلاد فارس

1. تعريف الترف

لغة :

. (تَرِفَ): النباتُ . تَرَفاً. كثر ماؤه ونَضُر وفلان :

تنعم: فهو تَرِف : و. صار لشفته

تُرْفَةُ :فهو أتْرَفُ، وهي تَرْفاءُ . (ج) تُرْف

(أَتْرَف) فلان : أَصَر على البغى وفلاناً وسَعَ عليه ود الله[1]

الترف: هو التنعم

المترف : هو الذي أبطرته النعمة وسعه العيش وهو المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع وهو أيضا، الجبار، وهو المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها .

وأترفته النعمة : يعني أطغته

واستترف : تغترف وطغى

وقد جاء فيما سبق معنى واحداً مشتركاً وهو أترفته النعمة بمعنى اطغته .

فالترف إذا هو التنعم والتوسع في العيش والشهوات حتى يصل الأمر بالإنسان إلى البغي والطغيان بل ربما إلى التجبر.[2]

التَرْفَةُ : بالضمَ، النعمَةُ، والطعام الطيبُ، والشيء الظريفُ تَخُص به صاحبك، وهَنَة ناتئة وَسْطَ الشفَة العليا خلْفةَ، وهو أتْرَفَ وتَرِفُ، محركة: جبل، أوع وذو تَرَف : ع وكفرح : تنعم، وأَتْرَفَتْهُ النعْمَةُ، أطغْتهُ أو نَعَمَتْهُ،

[1]- شوقي ضيف، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية جمهورية مصر العربية، 1425ه / 2004م، ص 84 .

[2]- خالد بن محمد الشهري، قصة الترف، 1433ه/2012م، ص ص 10، 11

المتروكُ يَصْنَعُ ما يَشاءَ لا يُمْنَعُ، والمتَنعمُ لا يُمْنَعُ من تَنَعُمه، والجَبَارُ، وتَتَرَفَ : تَنَعَمَ واسْتَتْرَفَ تَغْتَرَفَ وطَغَى. [1]

الترف اصطلاحا :

هو مجاوزة الحد الاعتدال بنعمة والإكثار من النعم الجالية للرفاهية فالمترفون إذن هم الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش وحرصوا على الزيادة من الملذات والملهيات، وسعوا إلى بلوغ الغاية في أنواع الترف من المأكل والمشارب والمساكن والمراكب[2]

2. تعريف البذخ

لغة :(بذخ) الجبل ونحوه . بذوخا : علا فبان علوة فهو باذخ . (ج) بواذخ، وبذخ .ويقال :شرف باذخ، والرجل :عظيم و. افتخر فتعالى في فخره .و . تكبر. فهو باذخ (ج) بذخاء، وبذخ. وهو بذاخ. و البعير بذخانا: اشتد هديره فهو باذخ، بذاخ .

(بذخ). بذاخا :بذخ. فهو بذخ، باذخ

(باذخه) :فاخره

(تبذخ) :بذخ

(البيذخ):المرأة البادنة .[3]

وبذلك يمكن الاستنتاج أن كلمة البذخ مرادفة ونظيرة في الدلالة لكلمة الترف إذ تدوران في نفس المعنى وهو الكبر والطغيان وكفر النعم[4] .

---

[1]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزا بادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسوسي، طبعة فنية منقحة مفهرسة، ط8، بيروت لبنان، 1426هـ/2005م، ص 794

[2]– محمد صالح المنجد، الترف، المملكة العربية السعودية خبر، جدة، 1430 هـ 2009 م ص ص 7 8

[3]– شوقي ضيف، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص 45

[4].– محمد عيساوة، حياة الترف والبذخ وإنعكساتها على المجتمع الأندلسي خلال القرنين الرابع والخامس هجري، مذكرة ماسجتير في تخصص التاريخ الوسيط، المدرسة العليا الأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة الجزائر، 2013

3. الترف في القرآن الكريم

الترفه : التوسع في النعمة، يقال : أترف فلان فهو مترف .قال تعالى : ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾. [1]

قال تعالى :﴿ **وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ**﴾ " أراد الذين ظلموا : تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما اهتموا بالتنعم والترف والانغماس في الشهوات والتطلع إلى الزعامة والحفاظ عليها والسعي لها وطلب أسباب العيش الهنيء، وقد مضت سنة الله والمترفين الذين أبطرتهم النعمة وابتعدوا عن شرع الله بالهلاك والعذاب.[2]

ومن سنة الله تعالى جعل هلاك الأمة بفسق مترفيها، قال تعالى : ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾[3].

وجاء في تفسيرها :(وإذا دنا وقت هلاكها أمرنا بالطاعة مترفيها أي متنعميها وجباريها وملوكها ففسقوا فيها، فحق عليها القول فأهلكناها وإنما خص الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى جميع ؛ لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال، وما توقع من سوئهم إنما وقع بأتباعهم وإغوائهم، فكان توجه الأمر إليهم أكد).[4]

وقوله تعالى : ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾[5]

---

[1]- سورة هود الآية 116

[2]- إيناس حسنة البهجي، دولة المماليك البداية والنهاية، إسكندرية، دار التعليم الجامعي، 2010 م، ص ص 75.76

[3] -. سورة الإسراء الآية 16

[4] - عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط2، مملكة الأردنية الهاشمية عمان، وسط البلد، 2011 م، ص 765

[5] - سورة المؤمنون، الآية 33

وجاء تفسيرها : يقول تعالى : ذكره وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلناه بعد نوح وعن الرسول في هذا الموضع صالحا، وبقومه ثمود الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة يقول الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا بلقاء الآخرة يعني كذبوا بلقاء الله في الآخرة.

وقوله : وأترفناهم في الحياة الدنيا يقول ونعمناهم في حياتهم الدنيا، بما وسعنا عليهم من المعاش بسطنا لهم من الرزق، حتى بطروا وعتو على ربهم وكفروا ومنه قول الراجز وقد أران بالديار مترف.[1]

وقوله ما هذا إلا بشر مثلكم : يقول قالوا : بعث الله صالحا إلينا، رسولا من بيننا، وخصه بالرسالة وهو إنسان مثلنا، يأكل مما نأكل منه من الطعام، ويشرب مما نشرب، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته ؟

قال ويشرب مما نشربون معناه : مما نشربون منه فحذف من الكلام منه لأن معنى الكلام ويشرب من شرابكم وذلك أن العرب تقول شربت من شرابك[2]

قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ، لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُ**﴾[3]

وجاء تفسيرها : فلما رأى هؤلاء الظالمون عذابنا الشديد نازلا بيهم، وشاهدوا بوارده، إذا هم من قريتهم يسارعونا هاربينا .فنودوا فهذا الحال : لا تهربو وارجعوا إلى لذاتكم وتنعمكم في دنياكم المنهية ومساكنكم المشيدة، لعلكم تسألون من دنياكم شيئا، وذلك على وجه السخرية واستهزاء بهم .[4]

قال تعالى : **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ** ﴾[5]

[1]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن التأويل أي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج17، القاهرة، 1422هـ 2001 م، ص 39

[2]- نفسه، ص 40

[3]- سورة الأنبياء الآية 12 .13

[4]- المصحف الشريف، ورش، ج17، ص 322

[5]- سورة الفجر، الآية 15

وجاء تفسيرها وقوله فأما الإنسان إذا ما أبتله ربه يقول تعالى ذكره :فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى، فأكرمه "بالمال، وأفضل عليه، ونعمه بما أوسع عليه من فضله " فيقول ربي أكرمني بهذه الكرامة، كما حدثنا بشر، قال ثنا يزيد: قال ثنا سعيد، عن قتادة قوله فأما الإنسان إذا ما ابتله ربه فأكرمه، ونعمه فيقول ربي أكرمن وحق له[1]

ومن سنة الله تعالى جعل هلاك الأمة بفسق مترفيها، قال تعالى : ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[2]

وجاء في تفسيرها :و إذا هلاكها أمرنا بالطاعة مترفيها أي متنعميها وجباريها وملوكها ففسقوا فيها فحق عليها القول فأهلكناها وإنما حصى الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الجميع، لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال، وما وقع من سوئهم وإنما وقع بأتباعهم وإغوائهم، فكان توجه الأمر إليهم أكد [3]

قال تعالى :﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ، لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ**﴾[4]

جاء في تفسيرها : ذكر هؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون إلى أن نأخذ أهل النعمة وبطر منهم بالعذاب كما حدثنا يونس : أخبرنا ابن وهب قال : ابن زيد إذا أخذنا مترفهم بالعذاب قال :المترفون العظماء .

إنهم يجأرون يقول أخذناهم به جأروا يقول ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذاب ولعل الجؤار :رفع الصوت كما يجأر الثور ومنه قول الأعشى :

يراوح من صلوات المليـ ك طورا سجودا وطورا جؤار

وبالنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل حدثني علي قال ثنا عبد الله، قال : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس إذا هم يجأرون يقول : يستغثون حدثنا ابن بشار، قال ثنا يحي وعبد الرحمان، قالا : ثنا سفيان

[1] – أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج24، ص 386

[2] – سورة الإسراء، الآية 16

[3] – تفسير الألوسي روح المعالي في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة بالهند، دس (42/15)

[4] – سورة المؤمنون، الآية 65.64

عن علقمة بن قردد، عن مجاهد في قوله : حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون قال : بسيوف يوم بدر وقوله لا تجأروا اليوم يقول لا تضجوا استغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يرفع عن الذين ظلموا أنفسهم فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئا مما قد نزل بكم من سخط الله. قوله تعالى إنكم منا لا تنصرون يقول : إنكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستفقدون، ولا يخلصكم منه شيئا. [1]

وأيضا لقوله تعالى ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ**﴾[2]

جاء في تفسيرها : ﴿**أَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ**﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسامي (و حميم) ماء شديد الحرارة (و ظل من يحموم)دخان شديد السواد (لا بارد) كغيره من الظلال (ولا كريم)حسن المنظر (أنهم كانوا قبل ذلك) في الدنيا (مترفين) منعمين لا يتعبدونا في الطاعة (وكانوا يصرون على الحنث)هو الدنيا (العظيم) أي الشرك .[3]

ويقول أيضا في قوله عز وجل : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾[4]

وجاء تفسيرها : قال أبو جعفر رحمه الله يقول تعالى : وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرا ينذركم بأسا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا إلا قال مترفها كبرائها ورؤساؤها في ضلالة، كما قال قوم محمد من المشركين له إن مما أرسلتم به من النذارة وبعثتم به من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون [5]

4. الترف في السنة النبوية

ورد النهي عن الترف في العديد من الأحاديث النبوية تحذر منه وإذا كان مفهومه في القرآن الكريم قد اتخذ من مرادفات النعمة والشهوة والمتع الحياة بمختلفها معنى له، فإن جاء في السنة النبوية وأثرها عن

[1]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج 17، ص ص 79.77

[2]- سورة الواقعة، الآية 46.41

[3]- الإمامين الجلالين لعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، العلامة جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير القرآن الكريم، تح شعبان محمد إسماعيل، عنيت، دن، د. ط، شركة الشمرلي، 1977/05/05، ص 453

[4]- سورة سبأ، الآية 34

[5]- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 19، المصدر السابق، ص 293

الترف لما يخرج عن هذا المعنى وإذ كان القرآن قد نهى عن الإسراف والترف وذمهما، إذ أن السنة في الكثير من الأحيان تزيل اللبس والغموض الذي قد يبدو في النصوص القرآن الكريم ولم تكن نظرة النبي صلى الله عليه وسلم للدنيا عن قلة المال منه ولا عن الفقر فقد كان يحق له . صلى الله عليه وسلم . خمس الفيء والغنائم التي كان يغتنمها المسلمون من جراء الغزوات [1]

ومنها أورد المنصف رحمه الله عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿**أَلَا إِنَّ الدُنْيَا مَلْعُونَة، مَلْعُون مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ الله تَعَالى وَمَا وَلَاهُ، وعَالَمَا وَمَتُعَلِّمًا**﴾ ولهذا قال الحديث حسن :هذا الحديث يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم ﴿**الدُنْيَا مَلْعُونَة**﴾: أي أنها مبغضة إلى الله تعالى أن يسخطها ﴿**مَلْعُون مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ الله تَعَالى وَمَا وَلَاهُ**﴾ يعني إلا ما قربه أو قرب إليه من طاعة ودل عليه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ﴿**وَ عَالَمَا وَمَتُعَلِّمًا**﴾ والمقصود به من يشتغل بالعلوم التي توصله إلى المالك المعبود، العلم بالله وأسماءه وصفاته، والعلم بالطريق الموصول إليه والعلم بها يصير إليه الإنسان في آخرة [2]

كما ورد أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال : ﴿**إِنَّ مِمَا أَخَافَ عَلَيْكُم مَن بَعْدِ مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُم مِنْ زَهْرَةِ الدُنْيَا وَزِينَتُهَا**﴾[3]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿**إِنَّ الدُنْيَا حُلْوَة خَضْرَة، إِنَّ الله مُسْتَخْلَفَكُمْ فِيهَا فَيَنْظُر كَيْفَ تَعْلَمُونَ فَاتَّقُوا الدُنْيَا وَاتَّقُوا النِسَاءَ**﴾

قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :{إِنَّ مِمَا أَخَافَ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِي} فمن هنا تبعيضية فالأشياء التي يتخوفها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وعلى أمته أمور كثيرة من ذلك أنه كان يخاف عليهم من فتنة الدجال، وكان يحذرهم منه، وكان يقول : ما من نبي إلا وقد حذر أمته من الدجال أو كما قال إلى غير ذلك مما كان يذكره كقوله صلى الله عليه وسلم وما تركت بعدي فتنة هيا أضر على الرجال من النساء

[1]– ابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ج5، دار الطبعة للنشر السعودية، 1999، ص121

[2]– رواه الترمذي، أبواب الزهد، عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ج4/رقم 2328، ص 565

[3]– رواه مسلم، الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، ج4/رقم 2742، ص 2098

أما ما رواه ثاني الحديث أبي سعيد الخدري قوله : {الدنيا حلوة خضرة } جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين في وصفها الأول هو حلاوة، وهذه تستهوي الإنسان وتشده ولعلي ذكرت في بعض المناسبات مثلا ذكره بعض أهل العلم ولعله الحافظ ابن الحجر لهذه الحياة الدنيا مثلها بإنسان ينطلق وسبع يطارده فتعلق هذا الإنسان بغصن شجرة وبينما هو كذلك إذا به ينظر إلى أسفل منه وإذا بحفرة وفيها تنين قد فغر فاه ينظر متى يسقط .[1]

كما نهى عليه الصلاة والسلام عن التنطع في اللباس، فعن علي رضي الله عنه {أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس القصي والمعصفر وعن تختمي الذهب وعن قراءة القرآن في الركوع }[2] وهذا قد نهى عمر الفاروق رضي الله عنه أصحابه عن يأخذ بشيء من أسباب الترف، خاصة لمن سكن الديار المفتوحة وخالط أهلها المترفين، إذ نجده قد كتب إلى بعض عماله العرب عللا بلاد العجم : إياكم والتنعم وزي العجم .[3]

5. زهد حياة الصحابة على عهد النبوة:

أ . زهد النبي صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾.

كان ابن عباس يحدث أن الله تعالى أرسل إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ملكا من الملائكة معه جبريل، فقال الملك : إن الله يخبرك بين أن تكون عبدا نبيا، وبين أن تكون ملكا نبينا، فالتقى النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تواضع فقال

[1]- رواه مسلم، المرجع السابق، ص 2098

[2]- صحيح مسلم، الشيخ عبد المحسن العباد، كتاب اللبس والزينة، رقم 2078، ص 185

[3]- أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، د ط، مكتبة الإيمان، المنصورة، د ت، ص 246

الرسول صلى الله عليه وسلم {بَل أَكُون عَبْدًا نَبِينَا} قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا حتى لقي ربه تعالى [1]

عن عمر بن خطاب رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله وهو على حصيرة قال : فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد اثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرض في ناحية الغرفة وإذا اهاب معلق، فابتدرت عيناي، فقال {ما يبكيك يا ابن خطاب ؟} فقلت : يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذلك كسرى وقيصر في ثمار والأزهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك قال : {يا ابن خطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟؟ } وأخرجه الحاكم، وقال : صحيح على شرط مسلم ولفظه [2]

قال عمر رضي الله عنه : استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربه وانه لا مضطجع على خصفه إن بعضه لعل التراب، وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا، وإن فوق رأسه لاهابا وفي ناحية المشربة قرظ، فسلمت عليه فجلست فقلت : أنت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرير الذهب وفرش الديباج والحرير؟ فقال ((أولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإن قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا)).رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس أنا عمر رضي الله عنهما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأبو يعلى لنجوه، قال الهيثمي :رجال أحمد رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وقد وثقه جماعة وضعفه جماعة [3].كان أول ما فلعه نبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وبناء مسجد [4].وهي كلمة وردت في القرآن، وعرفت في الجاهلية على أنها اسم البيت الذي يطوف حوله القبائل ولكن في الإسلام أصبح المسجد هو مكان العبادة عند المسلمون كما كانت ساحة الكعبة لا يجوز القتال فيها، وكان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بسيط البناء، فلم يكن غير فيناء ضيق يحيط به جدار، وليس فيه غير مكان

[1]– شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، السيرة النبوية : تح دكتور عمر عبد السلام التدموري، د س، د ط، . دار الكتاب العربي، ص 464

[2]– محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، لبنان، 1420 هـ /1999 م، ص 548

[3]– نفسه، ص 549

[4]– عبد المنعم ماجد، تاريخ السياسي للدولة العربية، عصور الجاهلية والنبوة وخلفاء الراشدين، ط4، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1967م، ص 109

واحد مشقق ويغطيه الجريد المثبت على جذور النخيل، أما بقيت أجزائه مكشوفة، وقد بقي هذا المسجد خاليا من كل مظاهر الترف [1]

ب . مسكن ولباس وطعام النبي صلى الله عليه وسلم

لما أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم لم يرسله يتكبر على الناس في المسكن والملبس والمركب بل كان متواضعا لا يأخذ إلا ما يكفيه، بل لقد كان من دعائه . صلى الله عليه وسلم . أن يجعل رزقه رزق آله وقد اكتفى بما تيسر له من مسكن فكان لا يوجد بداخله إلا القليل من الفراش والمتاع وكان يصلي على حصير في النهار، وإذا أتى الليل أخذها ونام عليها، لأنه لم يكن له غيرها، وكان لا يشبع من خبز الشعير ولو أراد أن يجعل الله له الجبال ذهبا لا فعل، لكن أراد الله أن يجعل منه قدرة في جميع أحواله وأن يكون في شأنه وحاله سلوة للفقراء والمساكين وأن يكونوا درسا عمليا في الصبر، عن عائشة . رضي الله عنها . قالت : كان وسادة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . التي يتكئ عليها من أدم حشوها ليف. [2]

وأيضا عن هشام عن أبيه قال : قال كان الناس يتحرونا بهداياهم يوم عائشة قالت فاجتمع صواحب إلى أم سلمة فقنا يا أم سلمة والله إن الناس يتحرونا بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار قالت فذكرت ذلك أم سلمة لنبي صلى الله عليه وسلم فقالت : فأعرض عني فلما عاد ذكرت له ذلك فأعرض عني فلما كان في ثلاثة ذكرت له فقال يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل عليا الوحي وأنا في لحافي امرأة من كنا غيره [3] .

وأما عن أكله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاما لعق أصابعه ثلاث .[4]

[1]– عبد الرحمان بن محمد خلدون الخضرمي، مقدمة ابن خلدون، د ت، ص 233

[2]– صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ واليسير، ج3، رقم 2082، ص 1650

[3]– البخاري، الفتح كتاب المناقب باب فضل عائشة، ج7، رقم 3775، ص 134

[4]– رواه الترمذي، كتاب الأطعمة عن رسول الله، ج4، رقم 1803، ص 228

6 . مفهوم الترف عند علماء المسلمين:

تناول علماء المسلمين مفهوم الترف في كثير من كتاباتهم تلميحا أو تصريحا، أو بذكر مظاهره وآثاره المتنوعة، وقد طبع الحديث عن الترف لديهم صبغة تكاد تكون واحدة لا خلافا جوهريا فيها. يمكن للراغب في التعرف على مفهوم الترف عند ابن خلدون أن يخلص إليه من خلال مقدمته التي أسهب واستفاض فيها في الحديث عن الترف ومظاهره وأسبابه وآثاره، حيث ربطه بالحضارة ربطا وثيقا.كما قارن الحافظ ابن حجر العسقلاني بين الترف والملاذ، وهي أشارة من هذا الأخير إلى أن الترف والملاذ يعدان من مظاهر التنعم[1]

أما حسن البنا فإنه قارن بين النعيم والترف في منظار علماء المسلمين، ومثله أيضا السيد محمد نوح، وقد عد البنا اللفظان مفهومان لمعنى واحد، وهو الإقبال على المتع والشهوات .أما حسين مؤنس فيشير على مظاهر الترف بنزوع النفس لحب المال، وتملك العقار الكثير الفاخر والرياش المستجادة والطعام المستطاب، وهذه المظاهر هي ما تعرف برغد العيش، بينما يراها جواد علي في الغنى ووسائل الراحة، أما إحسان عباس فيعددها بالإنفاق على بناء القصور والدور واقتناء فاخر الأثاث ورفيع الرياش.[2]

7.الفرق بين الخلافة والملك:

. طبيعة الملك تقتضي الترف فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على أعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والمترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك في أجبالهم المتأخرة إلى أن يقصر العطاء كله عن الترف وعوائده وتمسهم الحاجة وتطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب، وأيضا إذا كثر الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان إلى الزيادة.[3]

. وإذا أحوال الدنيا ترجع كلها عند شرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب تبين في حراسة الدين وسياسة الدنيا به، [4]

[1]- عابد الجيلالي، الترف وأثره في سقوط الأندلس، مذكرة الماجستير في العلوم الإسلامية، 1436هـ.2015م، ص 29

[2]- نفسه، ص 30

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 132 133

[4]- نفسه، ص ص 201 202

والملك هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة، والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار.[1]

وبذلك يكون ابن خلدون ميز الخلافة عن الملك، ولتوضيح الفرق بين الخلافة أكثر تقف مع حديث ذكره سعيد عن سقيفة رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذل، قال سعيد بن جهمان ثم قال:(أي سفينة): خلافة أبي بكر، خلافة عمر، وخلافة عثمان ثم قال أمسك خلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد فقلت له إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم قال كذبوا بنو الزرقاء بل هم ملوك، شر ملوك[2]

8 . نماذج عن كبار الصحابة رضوان الله عليهم

أ. أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي حثمة وغيره أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان له بيت مال بالسنح*، معروف ليس أحد، فقيل له : يا خليفة رسول الله ألا تجعل على بيت المال من يحرسه ؟ فقال : لا يخاف عليه، فقلت : لم؟ قال: عليه قفل، وكان يعطي ما فيه (حتى) لا يبقى فيه شيء. فلما تحول أبو بكر إلى مدينة حوله فجعل بيت ماله في الدار التي كان فيها، وكان قدم عليه مال من معادن القبلية ومن معادن جهينة كثير، وانفتح معدن بني سليم في خلافة أبي بكر بقسمه على الناس فقرا، فيصيب كل مئة إنسان كذا، وكان يسوي بين الناس في القسم :الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير فيه، وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيحمل في سبيل الله، واشتري عاما قطائف. [3]

أتي بها من البادية ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء.[4]

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 201

[2]- مسند الإمام أحمد، كتاب مسند الأنصار، باب حديث أبي عبد الرحمن سفينة مولى الرسول صلى الله عليه وسلم، 5/220/رقم21969

*السنح: هي إحدى محال المدينة كان لها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تزوج مليكة هناك.أنظر إلى معجم البلدان، مجلد 5، المصدر السابق، ص 265

[3]- قطائف :جمع قطيفة، وهي نوع من الأكسية .انظر إلى محمد رضا أبو بكر الصديق، أول خلفاء الراشدين مطبعة عيسى البابي الحلبي وشريكه بمصر، 1353هـ/1935م، ص 33

[4]- محمد يوسف الكاندهلوي، المرجع السابق، ص 477

كما أن الخلفاء الراشدون . رضوان الله عليهم يضربون الأمثال في محاربة الترف فسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يعيش قريبة من الكمال في الرزق، حتى إذا تولى الخلافة عاش عيشة جافة، ثم هذا سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه . كان قبل الخلافة يعيش عيشة ناعمة، وإن لم تكن مترفة حتى إذا تولى الخلافة علم أنها الابتلاء الأكبر.[1]

ب . عمر بن أبي الخطاب رضي الله عنه :

تقلد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة سنة 13هـ قال الزهري: استخلف عمر يوم توفي أبو بكر رضي الله عنه، فقام بالأمر خير قيام، وكثرت الفتوح في أيامه.[2] لكن لم يعرف فسأل قائلا: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك، فإن كنت ملك فهذا أمر عظيم. فقال قائل: يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا، قال: ما هو؟ الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حقي، فأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا. فسكت عمر.[3] ومن أهم مواقف عمر الخالدة في تاريخ موقفه مع الهرمزان الفاسي الذي تمكن المسلمون من أسره بعد فتح فارس وبعثوا به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليرى فيه رأيه، ويذكر أبو الفدا في هذا الصدد "إن الهرمزان طلب الصلح على حكم عمر فأنزل على ذلك وأرسلوا به إلى عمر ومعه وفد منه أنس بن المالك والأحنف بن قيس فلما وصلوا به إلى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضع على رأسه تاجا وهو مكلل بالياقوت ليراه عموما المسلمون، فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيلا جالس في مسجد فأتاه وهو نائم فجلسوا دونه فقال الهرمزان أين هو عمر قالوا هو ذا قال: فأين حرصه وحجابه قالوا: ليس له حارس ولا حاجب، واستيقظ عمر لجلبة الناس فنظر إلى الهرمزان، وقال الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباهه ولأمر بنزع ما عليه فنزعوه وألبسوه ثوبا ضعيفا، فقال له عمر كيف رأيت عاقبة الغدري وعاقبة أمر الله، فقال الهرمزان نحن إياكم في الجاهلية لما خلى الله بيننا وبينكم غلبناكم، ولما كان الله الآن معكم غلبتونا.[4]

---

[1]- محمد موسى الشريف، الترف وأثاره في دعاة والصالحين، ط2، دار الأندلس الخضراء، السعودية، 2004م، ص20

[2]- مصطفى محمد الحناوي، تاريخ الخلفاء الراشدين، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة شركة جمال أحمد، عمان الأردن، 1434هـ/2013م، ص 151

[3]- محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، تحقيق الدكتور محمد عمر، الشركة الدولية للطباعة، 1421هـ/2001م، ص285

[4]- مصطفى محمد الحناوي، المرجع السابق، ص ص 155 156

ج. عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عندما بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة قام في الناس خطيبا فأعلن عن مناهجه في الحكم من استشهاده من القرآن الكريم والسنة وسيرة الشيخين رضي الله عنهما كما أشار في خطبته إلى أن سيسوسو الناس بالحلم والحكمة إلا فيما استوجبوه من حدود، خوفا من التنافس والتباغض والتحاسد بينهما، مما يقضي من الأمة إلى الفرقة والخلاف وكان عثمان رضي الله عنه كان ينظر إلى ما سيحدث في هذه الأمة من الفتن بسبب الأهواء والتهالك الناس بعدما بويع.

قال رضي الله عنه في أول خطبته يوم مبايعته للخلافة بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار، فبادروا أجا لكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صبحت أو مسيتم، على إن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله غرورا }، اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم أينا أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم؟[1]

أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها وأطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلا فقال عزوجل : **﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾**[2]

العدل في الحكم وفي توزيع الأرزاق والمساواة بين الناس جميعا : حيث كتب رضي الله عنه في الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم، وكتب إلى الناس إلى الأمصار :أن ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، ولا يذل المؤمن نفسه، فإن مع الضعيف على القوي ما دام مظلوما إن شاء الله .[3]

د . علي بن أبي طالب رضي الله عنه

[1]- بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص305

[2]- سورة الكهف، الآية 46.45

[3]- بن جرير الطبري، نفسه، ص427

عند مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت سياسته قائمة على إقرار الأمور في البلاد، ومعالجة السلبيات التي كانت سببا في تضمر الناس[1]، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يملك روح التضحية والإقدام إذ يدرك معنى الجهاد ويعرف نتائجه، وإما نصره وإما شهادة، وهو يرغب بنصر للمسلمين ويتمنى الشهادة لنفسه، فيسعى وراء ذلك بهمة عالية، وعزيمة صادقة، تاركا الدنيا وراءه، متصورا الجنة مقابلة له.وقد روى النظر والمنظور عن عقبة بن علقمة قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإذا بين يديه لبن حامض آذاتني حموضته، وكسر يابسة، فقلت يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل أيبس من هذا، ويلبسه أخشن من هذا، وكان أيضا يأكل الشعير الذي كانت تطحنه امرأته بيديها، وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير ويقول :"لا أحب أن يدخل بطني ما لم أعلم"، وباع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام.يقول رضي الله عنه:ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، إن الآخرة قد أتت مقبلة ولكل واحد بنون، فكانوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا من الأرض بساطة والتراب فراشا، والماء طيبا، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن طلب الجنة سارع إلى الطعات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصاعب.[2]

هـ . أبو ذر الغفاري رضي الله عنه :

لقد عاد أبو ذر الغفاري من الغزو، وراءه إنكباب الناس على دنياهم، وفيض الثورة بين أيديهم. وكان رأيه أن هذا المال يجب أن ينفق كله في سبيل الله، وهو يخشى على القلوب من التغير، والانصراف إلى الدنيا، فمضى ينذر الناس، ويذكرهم بالآخرة ويقول لهم : يا معشر الأغنياء، وأسوا الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من النار تكوى بها جباههم وجنوبهم. وكان هناك القاعدون والمتخلفون عن الجهاد، والمتخلفون عن العمل، والمتسكعون في الطرقات، يرون في هذا الرأي ما يهيء لهم ثروة وهو هم قائمون. فأعجبهم هذا الرأي، واستطاع عبد الله ابن سبع أن يهيء الجو المناسب

[1]- مصطفى محمد الحناوي، المرجع السابق، ص 355.

[2]- مصطفى محمد الحناوي، المرجع السابق، ص ص 350 351

في الظلام لتحويل المسلمين من دعاة إلى متصارعين على الدنيا. فأخذ يزين لهم هذا القول ويستغله كما يهوى، فتحرك الفقراء يطالبون الأغنياء بأموالهم.[1]

وبين أبو ذر يتحدث ذات يوم، إذ يقف له واحد من المتحمسين ويقول له يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول :المال مال الله، على إن كل شيء لله، كأنه يريد أن يحتجنه دون الناس، ويمحو اسم المسلمين وينظر أبو ذر إلى هذا الرجل ويصمت كان الرجل عبد الله بن سبع وعرف أن هذا باب من أبواب الفتنة، قد يستغله هذا الرجل، فأجمع أمره، وقرر المضي إلى الأمير معاوية يحذره. رحب معاوية بأبي ذر وأدناه، فقال له أبو ذر: ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟ فبقول معاوية : يرحمك الله أبا ذر، السنا عباد الله ومال ماله وخلق خلقه وأمر أمره ؟ [2]

يرى أبو ذر الغفاري أنه لا يجوز للمسلم أن يمسك أكثر من قوت يومه، كان هذا مذهبه وهذه صورة عيشه التي رأى عليها النبي صلى الله عليه وسلم فتابعه عليها وبقي لا يغير ولا يبدل زمن خلفاءه من بعده: أبي بكر وعمر وعثمان وكان أراء أبي ذر تثير الناس على الاعتناء، وكان هناك من يفسد في الظلام. ووجد ابن السواد (عبد الله بن سبع) أن عبادة بن الصامت في زهده وتقلله من الدنيا صورة صادقة عن أبي ذر، وطمع أن يستجيب له كما طمع من قبل بأبي الدرداء فأعرض أبو الدرداء عنه، فأتى إلى ابن الصامت على أمل أن يحرك عجلة جديدة في الفتنة.[3]

مضى أبو ذر في دعوته يحدو الركب إلى الله، ويدعو الناس إلى تقلل من الدنيا والزهد فيها وحار معاوية في النتائج الخطيرة التي تنتج عن هذه الدعوة، ففكر في محاولة معينة يجعل بها أبا ذر يكفي عن دعوته حتى لا يستغل، إنه لا يجرؤ على أن يمنع أبا ذر عن الدعوة إلى الزهد.[4]

[1]- عيسى حسن، المرجع السابق، ص43

[2]- نفسه، ص44

[3]- نفسه، ص 44

[4]- نفسه، ص45

ر. يزيد بن معاوية (63.60 هـ/ 680/683 م)

. هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر حرب بن أمية بن عبد شمس ولد عام (26هـ . 646م)وأمه ميسون بنت لجدل بن أنيف بن ولجة بن فنانة بن عدي بن زهر بن حارثة الكلبي. نشأ يزيد في البادية في كتف والدته ميسون وأخواله زعماء قبيلة كلب، فشب شاعرا متميزا بالفصاحة والخطابة والكرم والشجاعة، كما اهتم به والده معاوية في تنشئته، وعين له المؤدبين الجيدين لرعايته من أمثال دغفل بن حنظلة الشيباني. الذي كان عالما باللغة العربية وانساب العرب والنجوم، وعبيد بن شرية الجرهمي، وحرص والده أيضا على إسناد المهمات الصعبة إليه، التدريب على العمل الشاق ولإكسابه الخبرة القيمة، وتهيئة لمنصب الخلافة وليكون أهلا له فشاركه في الحملة المرسلة لغزو الروم وقيادة الجيش الذي أرسله لفتح مدينة القسطنطنية في سنة (50.49 هـ/669.670م). كما أمره على الحج[1], وكان يعظه باستمرار بترك حياة الترف والنعومة وأخيرا حدد له السياسة التي يسلكها في كيفية إدارة الخلافة، وتعامله مع الناس في أقاليم الدولة العربية الإسلامية في الوصية التي تركها له، والتي اشرنا إليها سابقا.

حاول الخليفة يزيد حال استلامه مهام الخلافة بعد وفاة والده بتنفيذ وصية والده وبدأ بشرح سياسة في الحكم، حافظ على وحدة الأمة الإسلامية من التفكك والانقسام وخوف من وقوع الفتنة بين المسلمين.[2]

إن الانصراف بعض خلفاء بني أمية خاصة المتأخرين إلى حياة البذخ والترف وحب اللذات أثر في سقوط الخلافة الأموية. فكان الخليفة الثاني يزيد بن معاوية محبا لحياة اللهو لولا إن حاول والده الخليفة معاوية إلى الاهتمام بتنشئة وإعداده وإشراكه في غزو القسطنطنية وحصارها لتهيئة لمنصب الخلافة. وعرف عن الخليفة يزيد بن عبد الملك بأنه محبا لحياة اللهو والترف والاهتمام بالجواري.[3]

[1]- نهال خليل الشرابي، هديل يوسف البارودي، تاريخ الخلافة الأموية، ط1، دار الفكر الناشرون والموزعون، مملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1431هـ 2010م، ص107

[2]- نهال خليل الشرابي، المرجع السابق، ص 108

[3]- نفسه، ص 275

9. نماذج عن الدولة الأموية والدولة العباسية

أ . الدولة الأموية

حرص الأمويون على الاستمتاع بالحياة الدنيا والتظاهر بمظاهر الترف فاهتموا ببناء القصور المنمنمة والزينة بالزخارف النباتية والهندسية، وتدل الآثار الأموية الباقية من القصور الخلافية على تجاوز الأمويين استخدام الزخرفة إلى استعمال التصوير في القصور.

ويتجلى في بناء القصور الأموية في البادية، ميل الأمويين الأصيل إلى الفن والانجذاب إلى البادية حيث التمتع بهدوء الطبيعة في الصحراء التي عاش فيها آباؤهم

ولا شك أن البادية هي تبعث منها ملكات العرب الفكرية، ونعني بها ملكات الحس والشعور والخيال وهي مصدر الإلهام بالنسبة للشعراء والحكماء، ولهذا آثرها خلفاء بين أمية ولم تغنهم حياة الترف واللهو في المدن أن يقصدوا البادية لتنعم فيها بالراحة والهدوء أو الفرار من الطواعين تجتاح المدن ولهذا أقاموا معظم قصورهم على أطراف البادية ومازالت آثار بعض القصور التي بناها خلفاء بني أمية في البادية باقية حتى اليوم، وأهمها آثار الذي قيل أن الوليد، الثاني أقامه على أنقاض قصر غساني في الشرق الأردن، ويحيط بالقصر سور خارجي مربع الشكل تنعمه أبراج نصف دائرية وأبراج أسطوانية في الزوايا الأربع[1].

وإلى الخليفة الوليد الثاني أيضا يرجع الفضل في بناء قصر خربة المنية الذي يقع إلى الشمال الغربي من بحيرة طبرية، ويذكر المؤرخون أن هذا الخليفة قام ببناء قصر أيضا الذي يبعد نحو عشرين ميلا جنوبي عمان, ويشير المؤرخون أيضا إلى أنه كان ينزل بالقصر الأزرق ببادية الأردن ويقع بين أرض يلقين وقراره على ماء ما يقال له الآغدق . [2]

ولعله نفس القصر الذي ذكره الطبري باسم الزيتونة وهناك بقايا قصر يسمى الحيز الشرقي يقع على بعد أربعين ببلاد إلى الشمال الشرقي من التدمر ينسب بناؤه إلى النفس الخليفة. ومن القصور التي تنسب إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك القصر المعروف بقصر عمره الذي يقع على بعد خمسين ميلا من

[1]- صلاح طحبوب، موسوعة التاريخ الإسلامي للعصر الأموي، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، عمان 2004م، ص 212

[2]- نفسه، ص213

عمان .وهو بناء صغير نسبيا يقع على حمام وقاعة للاستقبال تنفذ على الجانب الجنوبي منها غرفتان من الجانبين أشبه بالمخدعين وقد ازدفت أرض الغرف والقاعة بالفسيفساء التي تمثل زخارف نباتية أما الغرف الأخرى فكانت مكسوة بالرخام، وتزدان جدران الغرف بصور ملونة من النوع المعروف بالفريسكو وذلك ازدان الحمام بصور ملونة أدمية وحيوانية.[1]

ب . الخلافة العباسية

إن تتبع سيرة الخلفاء العباسين نجد أنهم عاشوا ظروف اقتصادية جيدة وتربوا في القصور الخلافة وقد نشأ في طوف مادية ممتازة وكان الترف هو السمة العامة داخل قصور الخلفاء وأيضا يرى المؤرخون أن العباسيون عاشوا ترف أكثر مما عاشه الأمويون إلا أننا نجد أن بعض أبناء الخلفاء قد هربوا من هذا النعيم ومن هذه الأجواء المليئة بملذات الحياة التي لم تكن بأي حال من الأحوال قادرة على اشباع الجانب الروحي عندهم وقد كان لهارون الرشيد ابن يدعى علي لم تعجبه حياة الترف والبذخ الذي عاشه والده فهرب من القصر ليعيش صانعا بسيطا يعمل ويكسب قوت يومه، وذات يوم أصيب بمرض، فطلب من أحد الذين عمل عندهم كأخير أن يعطي خاتمه للخليفة هارون الرشيد وكان هذا الشخص يدعى عبد الله بن الفرج العابد وهذا يوضح بأن بعض من أنباء الخلفاء لم يرضى على ملكان يعيشه الخلفاء من الترف والنعيم. فهناك بعض الخلفاء ممن لم يترفوا أبناءهم وخاصة بعد تربعهم على كرسي الخلافة مثال ذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي قطع عن أهل بينه ما كانوا يحصلون عليه من أوراق خاصة ممن سبقه قائلا لهم "حقكم في هذا المال كحق أي رجل بأقصى البلاد"[2]

أيضا من الأشياء الجديرة بالاهتمام داخل قصور الخلفاء قضيه تبذير الأموال، فلا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل مدى تبذير الأمين والمأمون الأموال، وهذا لا يعود إلى تربية الرشيد لأبنائه فحسب بل يعود أيضا إلى تربية المهدي لأبنائه إن المصاعب التي واجهت المأمون في فترة حكمه لم تكن لتثنية عن أسلوب

[1]- صلاح طحبوب، المرجع السابق، ص214

*قرطبة:هي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريرا لملكها، وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية، ومعدن الفضلاء ومبنع النبلاء.أنظر إلى معجم البلدان، مجلد 4، المصدر السابق، ص 324

[2]- صبحي محمصاني، تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، دار الملاين، بيروت، 1984م، ص78

حياته الذي اعتاد عليه من نعومة، فرق لرشيد الذي كان يخرج لناس عند وصوله بيت الحرام عنه وعن الأمين والمأمون، وكان بنفق الأموال الطائلة على القريب والبعيد.[1]

ولقد أثر هذا التبذير في المأمون بشكل كبير فعند تتبع الوضع الاقتصادي في عهده نجد أنه واجه الكثير من المشاكل بسبب سلوك اعتاد عليه في كل مراحل حياته.[2]

إنجازات عبد الرحمان الناصر:

أنشأ عبد الرحمن الناصر مدينة الزهراء في سفح جبل العروس بالقرب من قرطبة*، ووسع مسجد قرطبة الكبير، ولعل أبرز المنشآت التي أضيفت إليه تلك المنارة المذهبة التي سميت بمنارة الناصر.وازدهرت الحياة الاقتصادية في عهد الناصر فامتلأت خزانة الدولة بالأموال المتحصلة من التجارة والصناعة والزراعة، بالإضافة إلى ذلك بلغت العاصمة قمة التألق الثقافي والحضاري، فزخرت مكتباتها بآلاف المخطوطات، وغضت أروقة مساجدها وقصورها بالنخبة من العلماء والشعراء وبلغت النهضة العلمية مرحلة النضج.[3]

بعد أن استتب الأمر بعد الرحمان الناصر وجد أن اللقب الذي ورثه عن أسلافه وهو الأمير لم يعد يسع لطموحه الكبير، ورأى أنه أحق بألقاب الخلافة فاتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين، وتلقب يلقب الناصر الدين الله أمير المؤمنون وذلك في عام (316هـ .928م)وقد شجعه على ذلك ضعف الخلافة العباسية، وقيام دولة فتية معادية في شمالي إفريقية وهي الدولة الفاطمية التي تطلعت لضم الأندلس، وأيضا بعد قيام عبد الرحمن الناصر بإخضاع القوى الثائر في الأندلس كان لابد من رفع مكانة الأمير السياسية والدينية وإعطاء قرطبة دورا أكثر مركزية بحيث تشدد قبضتها على الأطراف بالإضافة إلى رغبة الأندلسيين في أن يكون لهم خليفة[4]

[1]- أحمد بن إسحاق اليعقوبي، مشاكله الناس لزمانهم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1980م، ص ص 29 30

[2]- أبو الفداء، ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7، ص 144

[3]- المقري، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1988م، ص 379

[4]- محمد سهيل طاقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس، ط5، د م، 2011م، ص 242

كما أن في الجاهلية وخاصة في بلاد اليمن تميز بالقصور التي كانوا يحتفلون فيها وكانت أكثر بلاد العرب تحضيرا من حيث الحصون والمسالح، [1]

لهذا قصورهم مبهرة ولديها أشكال مختلفة ويوجد فيها حدائق وبساتين وتتخللها البرك والبحيرات والأحواض المصنوعة من الرخام المنقوش عليها تماثيل من الرخام والفضة على أشكال مختلفة ويجري ماؤها من أنابيب بعضها كأفواه الحيوانات فكانت مصنوعة من الذهب أو الفضة تتلألأ عن بعد في أشعة الشمس وأخرى عليها تماثيل من النحاس على أشكال جميلة والماء ينساب من جوانبها فتتلون رشاشة بألوان قوس القزح في الحقيقة إن الخليفة عبد الرحمان الناصر قد أبدع في بناء هذا القصر وإتقانه فكان سعيد الفقيه ينتقلان من بستان إلى بستان ومن حديقة القصر إلى حديقة قصر آخر وقد سبق الموكب حتى أهل على القصر الزاهر وهو من أجمل أبنية القصر الكبير فانتبه سعيد على الخصوص لمواجهة فرأى عليها نقوشا كالوشم على المعصم في أشكال جميلة وتتخللها أبواب من أسفل، وهي في غاية ما يكون إتقان النقش ويزينها في الطبقة العليا من النوافذ والقناطر بالوراق القائم على أساطين الرخام.[2]

10 . الفتوحات أوضاع المغرب وتأثير ذلك على المسلمين فتح الشام وفارس

أدت الفتوحات الإسلامية إلى التوسع إلى أراضي جديدة واتصالها بالأمم الروم والفرس، ولقد أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن خطورة التنعم والترف خصوصا بعد أن توسعت موارد الدولة وكثر المال بسبب الفتوحات الإسلامية فكانوا يتعاهدون بعضهم بالنصح، إن الترف والتنعم يؤدي إلى التنافس على جمع الدنيا على جمع الدنيا فتحصل الخصوم المؤدية إلى التفرق والقتال وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: "رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ماشت أمة المطيطاء وخدمها أبناء الملوك– أبناء الفرس والروم– سلط شرارها على خيارها"

[1]– عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سباب الجامعة الإسكندرية، مصر، ص 111

[2]– جرجي زيدان، عبد الرحمان الناصر، جمهورية مصر العربية، 2012م، ص ص 49.46

أ . فتح بلاد الشام :

يبدو أن اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بفتح بلاد الشام كان يتقدم على تحرير العراق في أواخر عام 12هـ وأوائل عام 634م، بدليل إنقاذه جيش أسامة بن زيد بن حارثة، فور توليه الخلافة. غير أن الحروب الردة، وتطور الأحداث على حدود العراق حملت أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد أرسل خالد بن سعيد بن العاص على رأسه جيش من المسلمين إلى قرب تيماء، قرب الحدود مع بلاد الشام ليكون درءا لمن وراءه من المسلمين في حالة تعرض الروم وحلفاءهم في أثناء حروب الردة.غير أن خالد بن سعيد بن العاص اندفع إلى بلاد الشام على أمل تحقيق عدد من الانتصارات على الروم، غير أنه فشل في تحقيق هدفه مما دفع أبا بكر إلى عزله والشروع بحشد الجيوش من أجل ملاقاة الروم من جهة بلاد الشام.[1]

تجمع المجاهدون المسلمون من سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية في معسكرين بالجرف، في محرم سنة 13 هجري، 635 ميلادي فبعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه أربعة ألوية في مطلع صفر، الأول نحو دمشق بقيادة يزيد بن أبي سفيان والثاني نحو الأردن بقيادة شرحبيل بن حسنة، أما الثالث فاتجه نحو حمص بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، والرابع نحو فلسطين بقيادة عمر بن العاص، في حين حشد هرقل قيصر الروم آلاف من الجيوش لمواجهة جيش المسلمين وقادتهم، ودعم أبو بكر رضي الله عنه جيش المسلمين بخالد بن الوليد لحنكته وتجربته وشجاعته فأمره أن يسير من العراق إلى الشام في نصف الجيش بعد أن خشي من قوة هرقل وجيشه الذي يفوق مائة ألف جنديا، في حين جيش المسلمين لا يتعدى الأربعة والعشرين آلف، فسلك خالد بن الوليد طريقا وعرة لم يسلكها غيره إلى أن وصل إلى البصرة حيث التقى بشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وأبي عبيدة بن الجراح، وكانت أول مدينة دخلها المسلمون صلحا من بلاد الشام [2]

وفي جمادى الثانية سنة(13هـ/635م) توجه الجمعان، الروم المسلمون في سهل فسيح شمال اليرموك* يعرف ب الواقوصة، فأدرك خالد بن الوليد أهمية هذه المعركة الفاصلة في حرب الشام وأظهر

[1]- عبد الله طه السلماني، تاريخ الخلفاء الراشدين، دار الفكر الناشرون والموزعون، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1431هـ.2010م، ص67

[2]- أبو بكر البلاذري، فتوح البلدان، ليدن، نشرة ذي غوجه، ج1، 1866م، ص ص131 .132

*يرموك :واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى بحيرة المنتنة، كانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه.أنظر إلى معجم البلدان، مجلد الخامس، المصدر السابق، ص 434

حنكته العسكرية فوجد الألوية تحت قيادة واحدة حيث قال لأمرائها: "إن هذا اليوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، اخلصوا جهادكم وأيدوا الله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم، لم نزل نردهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبدا"[1]

وبدأت بطولات المسلمين في القتال عندما فادى عكرمة بن أبي جهل يبايع على الموت فلحق به عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من أبطال المسلمين يقاتلون حتى الموت، فقتل معظمهم وانضم إلى خالد بن الوليد القائد الأرميني "جرجة" الذي أسلم على يديه، وعلمه الصلاة فصلى به ركعتين في فسطاطه، ثم كر الروم ففرت الخيالة تاركين المشاة تحت رحمة سيوف المسلمين، واقتحم عليهم خالد خندقهم، فتراجع الروم تحت جنح الظلام على سهل الواقوصة وقتل من الروم في هذه المعركة حوالي الستين ألف، ويرجع ارتفاع عدد القتلى إلى أن الروم ربطوا بالسلاسل الحديدية والحبال ثلاثين ألف منهم، كل عشرة بسلسلة لئلا يفروا من المعركة فإن سقط واحد منهم سقط الذين معه، وفر قائد الروم من المعركة.[2]

ب . فتح بلاد الروم :

في أواخر عام 73هـ شعر عبد الملك أن الدولة استعادة قوتها، وأنها نستطيع أن تستألف جهادها وتعلي إدارتها، وكانت العلاقات قد ساءت بين دولة الروم والدولة الإسلامية في هذه الفترة.

بارد الفرس في قتال المسلين في موقعة النمارق* 35 سنة 13 هـ فهزمهم أبو عبيدة عامر بن الجراح وفروا إلى المدائن، ثم أعقب ذلك معركة الجسر وافتل الجانبان وفوجئ المسلمون بفيلة الفرس فقتل فيها أبو عبيدة الثقفي وتولى الأمر المثنى فأفلح وهزم الفرس، ثم طلب المثنى حارثة مددا من الخليفة فأمده بجرير بن عبد الله البجلي. [3]

---

[1]- البلاذري، المرجع السابق، ج1، ص 160

[2]- الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج5، لبنان، بيروت، دار الكتب، العلمية، 1995م، ص 36

* النمارق: موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق، فقال المثنى ابن حادثة الشيباني:غلبنا على خفانا بيدا مشيحة إلى النخلات السمر فوق النمارق، أنظر إلى معجم البلدان، مجلد5، المصدر السابق، ص304

[3]- أم بد:أركان طه عبد، م د:نصيربهجت فاضل، فتوحات الدولة العربية الإسلامية، (11.41هـ)(632.661م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية ومحكمة)، مجلد 6، العدد19، (2014م/1435هـ)، ص 7

الذي جمع حشود القبائل العربية حتى من أهل الردة والنصارى من العرب فاستجابوا قائلين تقاتل مع قومنا، وقد رغب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. الناس بالقتال في العراق بعد جملة من المعارك التي خاضها المسلمون هناك غير أن المسلمون تدخلوا وأشاروا عليه بأن يكون سعد بن أبي وقاص قائدا للمسلين في معركة القادسية والتي كانت سنة 15هـ، وكان الفرس قبل ذلك قد ثاروا على ملكهم واجتمعوا على يزد جرد الثالث بن شهريار، وهو غلام في السادسة عشر من عمره، الذي عمل على توحيد الجبهة الفارسية، واسترجاع السواد، فولى على قيادة جيشه رستم بن هرمز، ذلك القائد المحنك المجرب في الحروب، وقد سار رستم إلى القادسية وهو مصمم على مقاتلة العرب المسلمين، وكان خبره قد بلغ كل من جرير البجلي والمثنى بن حارثة الشيباني، فكتبا إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. يستمدانه فاستنفر الناس للجهاد، فاحتشد من المقاتلة ما يقرب من عشرين ألف رجل ولي عليهم سعد بن أبي وقاص، فسار سعد بالجيوش في سنة 15هـ حتى قدم موضعا قرب القادسية، وحينما كان المثنى بن حارثة الشيباني مريضا، فأشار عليه الأخير بأن يقاتل الفرس ما بين القادسية والعذيب.[1]

عسكر المسلمون بعد أن تجمعت جيوش سعد بن أبي وقاص مع جيش جرير والمثنى فيما بين القادسية والعذيب، أما الفرس فقد نزلوا ما بين الحيرة وبعض التلال، وببالغ الفرس كثير في تضخيم جيش الفرس مقارنة بجيش المسلمين، إذ قدرهم البلاذري بمائة وعشرون ألف مقاتل معهم ثلاثون فيلا،[2]

وقد اشترك مع المسلمين في هذا القتال طلحة بن خويلد الأسدي، الذي قد ارتد بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي سار إلى القدسية وأقام بها شهرا[3]

هذا فضلا من أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قد أمد سعد بن أبي وقاص بألف فارس يقودهم المغيرة بن شعبة من قبل أبي موسى الأشعري، 700 فارس يقودهم آخرين بقيادة قيس بن مكشوح من قبل أبي عبيدة عامر بن الجراح في الشام، فأنظم هذا العدد إلى جيش المسلمين، وفي الوقت الذي كان

[1]- البلاذري، المرجع السابق، ص252

[2]- نفسه، ص 314

[3]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، بيت الأفكار العلمية، السعودية، د ت، ص 455

فيه سعد مريضا خطب الناس يذكرهم بقوله تعالى {و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون}[1]

وجاءت اللحظة التي أمر فيها يزد جرد قائده رستم، بمقابلة المسلمين فتحركت قوات الفرس حتى نزلت القادسية ولم بعد يفصل بينهم وبين المسلمين مسافة طويلة. وقد ترددت رسل سعد بن أبي وقاص إلى معسكر رستم زمنا، ذلك أن المسلمين كانوا لا يقدمون على حرب حتى يعرضوا على خصمهم أما الدخول في الإسلام أو الجزية أو السيف وفشلت المفاوضات واستعد الطرفان للقتال واشتبك الجيشان، ودامت المعركة عدة أيام وانتهت بهزيمة الفرس وقتل رستم، وولى رجاله هاربين، وتعد معركة القادسية من المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلامي للعراق إذ كانت بداية الانتصارات أخرى متلاحقة، وفتحت على إثرها بلاد فارس وشاعت انتصارات المسلمين في الأصقاع[2]

وانسحب الفرس إلى المدائن منتظرين حرب فاصلة جديدة لعلهم يعيدوا بعض ما خسروه في المعارك، وقد أخذ المسلمون بملاحقة يزد جرد الذي فر إلى بلاد فرس بعد هزيمته في معركة جلولاء . معركة نهاوند[3]

جهز يزد جرد جيشا جديدا وأمر عليه احد القادة، واصطدم بالمسلمين بقيادة النعمان بن المقرن المزني في نهاوند من بلاد الجبل جنوبي همدان، وأسفر الصدام عن انتصار المسلمين الذين خسروا قائدهم، كما قتل القائد الفارسي أيضا وتراجعت فلول المنهزمين من الفرس إلى حصن نهاوند، وامتنعوا فيه فحاصرهم المسلمون بقيادة حذيفة بن اليمان، الذي تولى قيادة جيش المسلمين خلف للنعمان حتى استسلموا وصالح أهل الحصن المسلمين على الأمان في محرم من سنة 21هـ ثم فتح المسلمون همدان. تعد معركة همدان خاتمة الفتوح الكبرى في تاريخ الفتوحات الإسلامية في فارس وسماها المسلمون فتح الفتوح[4]

[1]- سورة الأنبياء، الآية 105

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 514

[3]- نهاوند، مدينة كبيرة مقابل همدان، وهي من فتوح أهل الكوفة في فارس، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص313

[4]- البلاذري، المرجع السابق، ص 298

لأنها فتحت الطريق أمامهم للقضاء على السلطان الأكاسرة، وترتب عنها سقوط مدن أخرى منها: أصفهان والري وأذربيجان والباب وخراسان في عمليات متلاحقة، ولم يلبث يزد جرد حين علم بانتصار المسلمين وتوغلهم في بلاده أن عبر نهر جيحون ونزل على خاقان الترك في سمرقند لاجئا وبفراره تم القضاء على دولة الأكاسرة من بني ساسان[1]

[1]- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج4، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م، ص173

الفصل الأول
مظاهر البذخ والترف في المغرب

المبحث الأول: مظاهر الترف والبذخ عند المرابطين

1. الأطعمة
2. الملابس
3. الاحتفالات
4. وسائل التسلية
5. العمران

المبحث الثاني :مظاهر الترف والبذخ عند الموحدين

1. الطعام والشراب
2. الملابس
3. الاحتفالات
4. وسائل التسلية
5. العمران

المبحث الثالث : مظاهر الترف والبذخ عند الصنهاجين

1. الأطعمة
2. الملابس
3. وسائل التسلية
4. المسكن

تمهيد :

عاش المغرب في ترف وبذخ عند احتكاكه بالأندلس فسادته مظاهر سلبية التي انغمس فيها سكان المغرب وعلى سبيل المثال بني القصور وتشيد العمران ويكون الهدف من ذلك التفاخر والتباهي، وقد أثر الترف بلا شك على طبقة الخاصة في المجتمع المغربي الذي انتشر فيه ذلك السلوكات الجشعة التي خلفت من ورائها التفكك للوازع الديني ومن بين الدول التي عاشت تلك الظواهر المرابطين والصنهاجيين والحماديين ولكن بعض الخلفاء حاربوا الترف والبذخ الذي ساد في مجتمعهم.

المبحث الأول : مظاهر الترف عند دولة المرابطين

دولة المرابطين هي دولة إسلامية ظهرت خلال القرن الخامس والسادس هجري في منطقة المغرب الإسلامي. وقامت دولة المرابطين إلى قبائل لمتونة وكان اللثام ميزة يتميزون بها وعرفوا بالملثمين .

1. الأطعمة :

اختلفت الأطعمة حسب الطبقة الخاصة للأمراء والطبقة العامة، فقد تفنن سكان المغرب الأقصى في صنع كثير من الأطعمة والحلوى والأشربة، وإذا تتبعنا الطعام بالمغرب منذ قيام دولة المرابطين لوجدنا القبائل الصحراوية كلمتونة ومسوفة وغيرها... وكانت تمتهن الرعي، واتخذت غذائها من لحوم الغنائم وألبانها طعاما لها، [1] حين كانت روح البداوة وشظفت الحياة أهم السمات التي طبعت دولة المرابطين وحسبنا أن عبد الله بن ياسين سن بنفسه مبدأ مقتبسا، لا يأكل من الأطعمة التي تعدي عنها ضرائب غير جائزة . فلم يقتني إلا من لحوم الصيد، واقتصر طعام يوسف بن تاشفين على الشعير وأدام الإبل"على ما منحه الله من سعت الملك وخوله نعمة الدنيا" .[2] فتنوع الأطعمة حسب تنوع المناطق واختلاف العادات في أنواع الأكلات المستهلكة وتنوع أطباقهم خاصة اللحوم، فكان أهل سجلماسة* يسمنون الكلاب لأكلها، أما القمح والخبز لم يكن يستهلك إلا من طرف الأغنياء أما العاصمة اقتصروا على أكل الذرى والمقاتي، اشتهر بعض المدن المغربية في العصر المرابطي بأطباق خاصة اشتهرت بها من بينها مكناسة طبخ السمك الشولي، مع أن ابن رشد اعتبر السمك مبدأ لذكاء، واشتهر أهل فاس بصناعة الطعام يدعى ترفست بينما اعتاد الناس في بلاد غدالة، وبالذات في جزيرة أيونة على أكل لحوم السلاحف وتخصصت لمتونة في طعام عرف باسم " أسلو "باللهجة البربرية ويصنع بالحنطة [3].

ومن الأطعمة الخاصة، والمسمى بالصنهاجي المملوكي وهو مكون من لحوم البقر والغنم والدواجن، وطعام الأمخاخ وهو خاص بملوك ورؤساء وتكون من أمخاخ ما يذبح من الحيوانات وطيور. وهناك أطعمة منسوبة

---

[1]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، الناشر بمكتبة مصر، 1980، ص432

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1993، ص69

*سجلماسة: هي مدينة في جنوبي المغرب طرف بلاد السودان يمر بها نهر كبير، أنظر إلى معجم البلدان، مجلد3، المصدر السابق، ص192.

[3]- نفسه، ص70

في طريقة صنعها إلى بعض البلدان الأخرى فمنها أطعمة مصرية كاللون المصري ومرزونة المصرية وفروج مصري ومنها ما ينسب إلى الدولة العباسية كالدجاجة العباسية [1]

أما العامة كانوا يأكلون [2] ومن الأطعمة التي عرفت في المغرب الأقصى الخبز الذي كان من سكان المغرب يقبلون على تناوله ليتغذوا منه بسرعة ليباشر أعمالهم وكان منهم من يفضل تناوله مقليا، حيث كان السكان يخبزون في الأفران صنوف من الأخباز، وجعلوا لكل نوع من أنواع الخبز اسم يعرف به فمنها الأصفهاني والرقاق واللبق والمشطب، وخبز الماء، والطبوني والمغموم والمشوك والمطلوع .[3]

كما كان أهل المغرب يطبخون الدجاج بالماء والملح والفلفل والبصل المدقوق ويكثرون في هذه الوصفة من إضافة الزيت، كان هناك طعام يسمى بالغرس المخلل ويتكون من لحم البقر أو الغنم ويكون هذا اللحم مقطعا قطع صغيرة ويضاف عليه الملح والكزبر اليابس والكمون والزعفران والكثير من الثوم واللوز المقشر، ويضاف إليه الزيت بكثرة ثم يغمر كل ذلك بالخل ويوضعوا على نار هادئة، وعند نضجه يضاف إليه الكثير من القرفة .[4]

لم تكن الأطعمة المغربية فقط هيا السائدة في هذا العصر وقد عرفت أطعمة بعضها منسوب إلى بلدان أخرى من خارج بلدان الأقصى [5]

أدوات الطبخ :

توجد أدوات الطبخ كثيرة من بينها :

- الفرن والتنور : وهو الذي يستخدم من أجل استواء الخبز وغيره.[6]
- المقلاة المفتوحة : استخدمت هذه المقلاة لقلي الأسماك والبيض .[7]

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص ص 434 435

[2]- نفسه، ص 158

[3]- مجهول الطبيخ في الأندلس في عصر الموحدين، تحقيق ألوني ميراندا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، ص 87

[4]- نفسه، ص ص 14 26

[5]- حسن علي حسن، نفسه، ص ص 434 435

[6]- مجهول، كتاب الطبخ في المغرب والأندلس، د س، د م، ص 46 63 78

[7]- مجهول، المصدر السابق، ص 176 179

– الغربال : كان يستخدم من أجل نظافة الدقيق وذلك بغربلته حتى ينظف .[1]

2.الملابس :

عرف سكان المغرب أنواع عديدة من الملابس كانت تنسج من الصوف، فالأمير يوسف بن تاشفين كان لباسه من الصوف الخشن حتى إنه لم يلبس غير قط طيلة حياته، وكان يختصر في ملبسه ورغم اتساع ملكه وسلطانه الذي وصل إلى الأندلس فإنه ظل متمسكا بها [2].

وقد استطاع شيوخ المرابطين أن يسير على هذا النهج في الملبس وقاوموا مؤثرات المال الوفير، ورغم ذلك فإن حياتهم البسيطة هذه لم تستمر طويلا بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين، إذ تغلبت عليهم حياة الأندلسية لمتعها وببهجتها، ولم يكن من الممكن أن يقام المرابطون هذه المتع طويلا، وليس من المعقول أن تظل أجيال المرابطين في حالة التقشف والزهد واستنفار في الحرب، ولكن الحال تغير بعد أن اتسعت الفتوحات واختلطوا بشعوب أخرى ذات الحضارات المتقدمة في أمصار المفتوحة .[3] وقد مثل هذا التحول فكان الأمير يوسف بن تاشفين ينكره فعند احتكاك المرابطين بالأندلس كان يعترض على فكرة التنعم بالملك ويعتبر ذلك من الإسراف .[4]

فقد منع ابن عبدون اللثام عن جميع طبقات الناس من لباسه يدعو أنه الزي الخاص بالمرابطين يتميزون به عن غيرهم من الطبقات الاجتماعية الأخرى، ونظرا لأهمية اللثام كصنف في أزياء السائدة وكظاهرة ارتبطت بالمرابطين، [5] ومثل اللثام الزي المقدس لهم حتى قيلا فيهم : "و هم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم وذلك سنة لهم ليتوارثونها خلف عند سلف "[6]

[1]– مجهول، المصدر السابق، ص 193

[2]– علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الورقية، الرباط، 1972م، ص 136

[3]– عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، د ت، ص 268

[4]– المقري، ج4، المصدر السابق، ص 374

[5]– إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 75

[6]– ابن عذاري المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، 1967م، ص 128

وقد عاب ابن تومرت إتخاذ المرابطين هذا اللثام وهاجم أمير المسلمين علي بن يوسف حين التقى في صلاة الجمعة بالمجسد الجامع ورد على من طالبه بتحية أمير المسلمين قائلا، "وأين الأمير إنما أرى جواري منقبات فلما سمع ذلك علي بن يوسف حط النقاب عن وجهه وقال لهم صدق"، وهي رواية مشكوك في صحنها وخاصة من حيث الاستجابة السريعة لأمير المسلمين وخلعه للنقاب، إذ أن هذه عادة متوارثة كما أن الذي أورد هذا الخبر هو البيذق تلميذ ابن تومرت .[1]

كذلك بالنسبة لملابس المرابطين، فتجدر الإشارة إلى أن استخدام اللثام أو النقاب كان خاصا بالمرابطين أو صنهاجة اللثام فقط ولا يستخدمه غيرهم. فقد كان المرابطون يرتدونه طيلة فترة حكمهم، وكان الخاصة منهم يميزون أنفسهم باللون الأسود كدليل على ولائهم للخلافة العباسية، وقد اقتصرت عادة التلثم على الرجال دون النساء، ويذهب علماء الأنثرويولوجيا إلى أن استخدم المرابطين اللثام، قد يكون مظهرا من مظاهر انتسابهم لأمهاتهم واحترامهم للمرأة، وقد أورد النويري شعرا في مدحهم يقول فيه:

إذا التثموا بالريط خلت وجوههم أزاهر تبدو من فتوق الكمائم [2]

مما يدل على تمسك المرابطين باللثام وتقديسهم له هو ارتداؤهم ليلا ونهارا وأثناء الراحة أو العمل بل وهم نائمون، وحتى أثناء تناول الطعام .[3]

وكما يرون بعض المؤرخين أنهم كانوا يعتبرون الفم عورة وكان يجب إخفاءه فكان إذا أراد الرجل أن يعدل أو يربط لثامه اختفى عن أنظار حتى لا يراه أحد، أي أنا سبب تلثمهم من شدة الحياء.[4]

قَوْمٌ لَهُ دَرْكُ العُلَى فِي حَمِير وَإِذ أَنْتُم صَنْهَاجَة فَهَمُّهُم

لَمَا حَوُوا إِحْرَازَ كُلّ فَضِيلَة غَلَبَ الحَيَاءُ عَلَيْهُمْ فَتَلَثَّمُوا .[5]

---

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 440

[2]- أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب الجهاد في الأندلس، كلية الآداب، جامعة إسكندرية، مصر، 2000م، ص 97 98

[3]- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق الدكتور سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الأديثة، دار البيضاء، 1399هـ /1979م، ص 19

[4]- ابن عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المسالك والمماليك، يطلب من مكتبة المثنى ببغداد، د س، ص 170

[5]- الامام أبي محمد بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان، ج3، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، 1418هـ /1998م، ص 127

وفي النهاية فإن مايرجح من هذا الأراء أن سبب تلثمهم إنما هو بسبب ظروف المناخ الصحراوي الجاف والصيف، والقارص في الشتاء، وكذلك الرياح الأتية التي تهيل المال معها، ولذلك فرضت هذه الظروف على سكان الصحراء أ، يظيفو هذا اللثام لحماية عيونهم وأفوامهم من سفو الرمال وقد أكد ذلك البكري هو الأقرب من ذلك .[1]

وتجدر الإشارة إلى أ، اللثام كان لازما ارتداؤه من القبائل الصنهاجية غير، أمنهم من قام بإزالة هذا اللثام في نهاية دولة المرابطين، وكان ذلك عند دخول الموحدين إلى فاس وصار هؤلاء القوم في زي الموحدين.[2]

ومن الملابس الأخرى التي اهتم بها المرابطون تلك التي تسمى بالعمامة والبرانس والغفائر القرمزية، ومثل هذه الملابس أهداها الأمير يوسف بن تاشفين للأمير أبو بكر بن عمر عندما تنازل له عن الحكم حيث أهداه الأمير يوسف بن تاشفين "مائة أمام مقصورة، وأربعمائة من السوسي، ومائتين من البرانس منها أبيض وأسود . [3]

العمامة : تعتبر العمامة من أهم ما كان يسوقه تجارة مدينة أغامت في العصر المرابطي وعرفت القبائل لمتونة أنها قامت بصنعها من الصوف ويسمونها بالكرازي .[4] وعندما ذهب الأمير يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتقابل مع المعتمد بن عباد كان الأمير المرابطي يرتدي هذه العمامة [5] .

والبرانس هي عبارة عن معطف مزود بقبعة، يلبس أثناء السفر ويسمى أيضا (المنيرة)وهو مصنوع من قماش لا ينفذ الماء منه ن ويستعمل المغاربة هذا النوع من المعاطف كثيرا أو يتخذونه غطاء، كما أن

[1]– البكري، المغرب في ذكر بلاد الإفريقية والمغرب والمسالك والمماليك، مكتبة المثنى ببغداد، د س، ص170

[2]– ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . قسم الموحدين .، تحقيق الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، 1406هـ / 1985م، ص 25.24

[3]– مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المصدر السابق، ص27

[4]– الإدريسي، أبو عبد الله، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، قطعة مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق دوزي ديغويه، ليدن 1963هـ، ص66.58

[5]– ابن الابار لأبي عبد الله، الحلة السراء، ج2، تحقيق حسين مؤنس دار المعارف، القاهرة 1980م، ص87.86

البرنس يمتاز بجودة نسيجه وهو يستخدم في الشتاء ويستعمل أيضا في الصيف، وذلك بأن يلبس ويجعل الشعر من الخارج، العادة ما تكون ألوانه بين الاحكر والأسود .[1]

الغفائر* القرميزية : في القديم كانت تعرف بأنها طاقية من طواقي المرأة وهي خرقة توضع على الرأس لتقي الخمار من الدهن [2]، الغفارة (بكسر الغين وفتح الفاء) وجمعها الغفائر تعني غطاء الرأس يلبس تحت العمامة مثل الطاقية أو الشاشية، ومثل الزرد الذي يلبسه المحارب تحت القلنسوة.

الغفارة : (بفتح الغين أو ضمها وتشديد الفاء) بما أ، الرداء الخارجي وهي المقصودة هنا في النص بالغفارة القرمزية، وجمعها الغفافير وهي كلمة دخلية كانت تطلق في الأصل على رداء واسع يلبسه رجال الدين في الهياكل، ثم استعملها المسلمون في المغرب مثل العباءة أو المعطف أو الجبة أو السلهام المغربي .[3]

ولباس هذه الغفارة كان مقتصرا على الفئات العليا في المغرب وربما كان هذا هو السبب في أن غالبية سكان المدن المغربية لا يقبلون على صناعة هذه الغفائر باستثناء مدينة سجلماسة[4].

نستنتج إن اللثام من أهم ما تميز به المرابطين فهو زيهم الرسمي وهو ما اشتهرت به قبائل صنهاجة حتى سميت بصنهاجة اللثام.

3. الاحتفالات :

تعد الأعياد والمواسم ظاهرة اجتماعية عرفها البشر منذ زمن بعيد منها ما هو إحياء لمناسبات عامة يحتفل بها الناس جميعا، ومنها ما يرتبط بشعائر دينية أو مناسبات اجتماعية وعليه كانت الاحتفالات لا تنقطع في الأسرة المرابطية على اختلاف فئاتها [5]، وعليه فإن الحياة العامة للمجتمع المرابطي لم يخلو منها

---

[1]- رينهارت دوزي، المستشرق الهولندي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، دار عربية للموسوعات، بيروت لبنان، 1433هـ2012م، ص70

*الغفارة: جمع غفائر هي سحابة تراها كأنها فوق سحابة، والغفارة: هي خرقة تكون على رأس المرأة توقي بها الخمار من الدهن، وكل ثوب يغطي به فهو غفارة. أنظر إلى معجم البلدان، مجلد 4، المصدر السابق، ص 207

[2]- نفسه، ص255

[3]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص98

[4]- شهاب الدين أبي عبد الله يقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج3، دار صادر بيروت، ص192

[5]- أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج1، محمد حجي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1401هـ/1981م، ص22.

فإذا بلغت تلك الاحتفالات الشريحة العليا من المجتمع أخذت أبعادها في البذخ والترف والإخفاق الواسع[1].

1. الاحتفالات الدينية :

عرفت في المغرب الأقصى بعض العادات المرتبطة باحتفالات معنية في مناسبات دينية مختلفة منها الاحتفالات الدينية، فقد كان الأهالي يحتفلون بقدوم شهر رمضان، حيث شغل الناس برؤية هلاله، فكانوا يصعدون فوق أسطح الدور للتمكن من رؤيته[2]

وقد كان ذلك الشهر مكانة خاصة لديهم، حيث يحتفل به الشعب في كل مكان بإقامة الأذكار وقراءة القرآن وتأدية الصلاة في المساجد وكان الخلفاء يحتفلون بذلك الشهر وذلك بقراءة في مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه، وكان الخليفة عبد المؤمن قد أحضره من الأندلس ونقله إلى قصره بمراكش وجعل له أغطية من الجلد المرصع بالأحجار الكريمة [3]

وفي بلاد المغرب كانت طريقة في إعلام الناس برؤية الهلال، أنه عندما يرى أهل القرية ما الهلال فإنهم يقومون بإيقاد النار من قريتهم التي شهد فيها الهلال وذلك من أجل إعلام القرى المجاورة برؤية الهلال والاستعداد المباشر للصيام .[4]

وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان، وهي ليلة القدر، كان الناس يقومون بختم القرآن والإكثار من العبادة في المساجد وأقرب دليل على ذلك أن الأمير تاشفين ابن علي رغم محاصرة الجيوش الموحدية له في وهران فإنه أصر على الذهاب إلى الرباط للمتعبدين في هذه الليلة عام 539هـ /1142م من أجل حضور ختم القرآن الكريم [5]

وكان الاحتفال بليلة السابع والعشرين من رمضان في كل عام، حيث كانت تأتيها الوفود من جميع أنحاء بلاد المغرب لتشاركها هذا الاحتفال فكانت الخيام تنتشر حول المساجد وتزدان الأسواق والمتاجر،

---

[1]- نفسه، ج2، ص533

[2]- ابن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط، الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب في العلوم الإنسانية، الرباط، 1997م، ص 212

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 419

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، ص 410 411

[5]- ابن عذارى المراكشي، ج4، المصدر السابق، ص 125

وترفع المغارم، ويقوم أهل الخير بإقامة الولائم الكبيرة حيث كانت توزع اللحوم والسمن والحلوى[1]، وعند قدوم عيد الفطر المبارك يخبر أهالي البلاد بذلك ويكون آخر الصيام [2]، مما يلحق بالاحتفالات الدينية تلك الاحتفالات التي يمتزج فيها الحزن بالمشاعر الدينية، حيث كان الناس يخرجون في شبه مظاهرة دينية للمشاركة في جنازات أحد الصالحين من العباد والمتصوفين الذين امتلأت بهم المدن المغربية في القرنين الخامس والسادس من الهجرة فأبن العريق المتصوف المتوفى بمراكش سنة 536هـ / 1141م حين مات احتفل الناس بجنازته [3]، كمظهر من مظاهر الاحتفال بالعيد، كان الناس يلبسون الملابس الجديدة مع التجميل والتزيين في أيام العيد.كما كان الناس في المغرب الأقصى يحتفلون بعيد الأضحى وكانت الاستعدادات تتم مسبقا فيقوم الأهالي بشراء الأضحية، وكان شراء الأضحية يمثل عبئا على لبعض الأسر المغربية الفقيرة، كان شراؤها مدعات لإثارت النزعات الأسرية وأقرب مثال على ذلك نزاع وقع بين امرأة وزوجها في طريق بسبب عدم قدرة الزوج على شرائه للأضحية مما جعل عبد الله التاودي يشتري أضحية ويهديها إياهم .[4]

ج . الاحتفالات العسكرية :

شهدت المدن المغربية منذ قيام دولة المرابطين كثيرا من الاحتفالات العسكرية والتي كان يخرج فيها الناس لمشاهدة عرض عسكري استعدادا للحملة وكانوا يقيمون باستعراض الجيوش، حيث يخرج ولي الأمر على رأس جنوده إلى المعارك فيشاهد مظاهر الفرح والابتهاج التي كانت تعم سكان المغرب، وقد استعرض تاشفين بن علي جنوده في تلمسان سنة 537 هـ/ 1143م [5]

ومن هذه المواكب العسكرية والاستعراضات تلك قامت في عصر الأمير يوسف بن تشفين عندما قام باستعراض جيشه خلال جوازه للأندلس وكان يقوم بتنظيم جيشه قبل خروجه للمعركة [6] وعندما

[1]– حمدي عبد المنعم محمد حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، جامعة الإسكندرية، 1993، ص79

[2]– لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد2، تحقيق عبد الله عنان مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، 1947م، ص277

[3]– حسن علي حسن، نفسه، ص 420

[4]– ابن عيشون، الروض، المصدر السابق، ص 273

[5]– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 421

[6]– نفسه، ص 421

ينتصرون في المعركة كانت تعم عندهم المفرحة فكانوا يقومون باحتفالات على النصر الذي حققوه في المعركة زلاقة* المشهورة سنة 479 هـ / 1086م فقد احتفل به الناس احتفالا كبيرا وعمت الفرحة في البلاد [1]

ممن جملة ما حدث في هذه المناسبة التي عمت فرحتها جميع ربوع المغرب وقام الناس بدق الطبول، ودامت هذه الاحتفالات العسكرية في العصر المرابطين حتى عصر تشفين بن علي حفيد يوسف بن تشفين، حيث قام الأخير باستعراض جنوده في مدينة تلمسان عام 538 هـ / 1143 م أمام الناس[2]

أما عن كيفية الاحتفال العسكري فيكون باستعراض الجنود بما فيهم من المواكب الجيش وألوانه والسلاح والعتاد.[3]

وما يصاحب هذه المواكب من رفع الرايات وأعلام مع دق الطبول الضخمة التي تصدر أصوات عالية، فكانت علامة مميزة من علامات الجيوش المرابطية .[4]

4. وسائل التسلية :

أ . الموسيقى والغناء

منذ قيام دولة المرابطين كان الأساس الذي قامت عليه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك قام المرابطون بمحاربة الظواهر التي تتفق مع الدين الإسلامي، فعندما استطاع الفقيه عبد الله بن

* زلاقة: أرض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع الأذفنش ملك الإفرنج المشهورة، أنظر إلى معجم البلدان، مجلد3، المصدر السابق، ص 146

[1]- أبو عباس أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تحقيق وتعليق صاحي السعادة، حقوق الطبعة محفوظة لدى دار البيضاء، 1954م، ص 49

[2]- عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، ج1، مكتبة السلام دار البيضاء ومكتبة المعارف الرباط، ص110

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 421

[4]- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، قاهرة مصر، د ت، ص183

ياسين الإستلاء على مدينة سجلماسة غير ما وجد بها من منكرات وقطع المزامير وحرق الديار التي كانت تباع بها الخمر وأسقط المغارم المخزنة، وترك ما أوجب الكتاب والسنة، [1] صارت هناك بعض الجواري اللواتي يحسن الغناء مما مكن يوسف بن تاشفين من إهداء المعتمد بن عباد جارية مغنية، ثم مال المرابطون إلى ألوان الترف وذلك بعد احتكاكهم بالأندلس وإطلاعهم على أساليب الحياة، حيث أصبحت أداوت اللهو والغناء متوفرة في المدن المغربية مما جعل ابن تومرت ينقم على المرابطين تهاونهم في محاربتها .[2] ويفهم من ذلك أن المرابطين حاولوا مكافحة انتشار أدوات الطرب كونها من المنكرات، ثم ما لبث أن مال بعض المرابطين إلى حياة صخب والموسيقى خاصة أنه عرف عن مجتمع المغربي حيه بالموسيقى لاسيما الفاسيون منهم دليل على ذلك أن حوانيت والأزقة مدينة فاس مثل سقاق برقالة واشتهرت ببيع أدوات الموسيقى ومن أهم هذه الأدوات الموسيقية كانت الدفوف والمزامير والعيدان والروط والأربية وكيتارات وجميع الآلات اللهو التي عرفت في ذلك الوقت، [3]ربما هذا ما جعل ابن تومرت ينقم على المرابطين وأخذ عن عاتقه تكسير الآلات الطرب المعروضة في متاجر فاس وجد زقاقا به حوانيت امتلأت بأنواع مختلفة من أدوات الموسيقى والغناء فكسرها هو وأصحابه .[4]

مما يدل على ميل بعض أمراء المرابطين من طرب والموسيقى أن الأمير علي ابن يوسف أمر بعزل عبد الحق بن معيشة الغرناطي قاضي فاس، لأنه لم يدن طلبه المهدي بن تومرت على ما أحدثوه من فوضى عندما اشتكى إليه التجار المغترمون فلعل ذلك يدل على أن الأمراء المرابطين لا يرونا في المتاجرة بالآلات الموسيقى ما يسمى بأخلاق العامة .[5]

[1]- ابن زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص128

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 430

[3]- أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنا بالبيذق، أخبار المهدي بن تومرت ودولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 24 23

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 430

[5]- عبد العزيز عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، سلسلة كتب الثقافية شهيرة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983م، ص 33

كذلك عاش أهالي المغرب على وتيرة الرفاهية والمتعة التي كانت يحيها أبناء الأندلس، [1] ومما لا ريبا في أن بعض أمراء الدولة المرابطية المقيمين في الأندلس خاصة، تأثروا بالبيئة الأندلسية فسلكوا إلى حد المسالك الطوائف الذين لم يمضوا على رحيلهم عن ديار الأندلسية غير زمن قصير.[2]

وإذا كان معاقرة الخمور من قبل الخاصة والوجهاء ترمز إلى حياة البذخ والترف والتفسخ الأخلاقي الذي وصلوا إليه، فإن الطبقة العامة لم تفعل ذلك إلا بتغطية المشاكل والصعوبات التي اعترضها في حياته اليومية فعندما استقر القاضي ابن حمدي أحد السكارى الذين ألقى عليه الفيض عن سبب شربه الخمر.[3]

ب . وسائل التسلية الأخرى

كانت برك الماء التي أنشأها الخليفة عبد المؤمن في بستانه، مكانا يسبح فيه أبناء العاصمة، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك وبجانب ذلك كانت هناك رحلات الصيد التي يخرج فيها الناس لصيد الحيوانات المختلفة من الغابات المنتشرة في أرجاء البلاد، فإن حماد صاحب بجاية حين استقر بمراكش بعد انتزاع ملكه كان يشغل نفسه بالصيد مستخدما ذلك شباك الحديد وفي بعض الأحيان كان يهدي ما يصطاده للخليفة عبد المؤمن .[4]

4. العمران :

– المنازل والقصور وزخرفة المساجد

[1]– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 430

[2]– عبد العزيز عبد الجليل، المرجع السابق، ص 33

[3]– إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 98

[4]– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 432

شهدت المدن المغربية توسعا في بناء المنازل والقصور والمساجد وذلك منذ تأسست دولة المرابطين، وكان ذلك نتيجة طبيعة الاستقرار السياسي التي شهدت البلاد وما صحبهم من ازدهار مما دفع الكثير إلى إستطان المدن، وهذا أدى بدوره إلى كثرة المنازل ويضاف إلى ذلك تشجيع ولاة الأمر من المرابطين على بناء القصور التي زخرفت بها المدن المغربية فعاصمة مراكش تزخرفت بقصور الأمراء والقادة وكبار رجال الدولة.[1]

بدأ المرابطون حياتهم متقشفين، فلم يقم يوسف بن تاشفين إلا في دور بسيطة ولكن بوفاته وصل ابنه إلى سدة الحكم أدخل حياة الترف والفخامة إلى بلاط المرابطي فبني قصر الحجر وهي نفس الظاهرة التي صار عليها الموحدين من حيث تقشفهم في أول أمره حتى أن الناس في مدينة فاس لجأوا إلى تغطية محارب جامع قرويين بالخص.[2] كما تجلت روائع الفن المغربي في الأبنية الدينية مثل جامع القرويين بفاس، وجامع تلمسان، وجامع الجزائر فضلا عن جامع القبة البروديين في مراكش، وقبة دار للوضوء في مسجد أبي يوسف، وفي المنشآت المدنية مثل قنطرة تانسيفت، وقصور الأمراء، ويعتبر جامع القرويين ويعتبر جامع القرويين بفاس أعظم الآثار المرابطين على الإطلاق، كما يعتبر من أهم المساجد الجامعة في بلاد المغرب وأكثرها شهرة بإعتبرها جامعة إسلامية قديمة يمكن مقارنتها بجامعة الأزهر بالقاهرة ولقد مر بنائها بثلاثة أدوار: الأولى عند تأسيسها 245هـ /859م، والثاني عند زيادة فيها سنة 345هـ /956م، والثالث عند زيادة مساحتها في عصر علي بن يوسف سنة 530هـ /1135م، فكانوا يبنونا قبة التي بأعلى المحارب وما يجذبها من وسط البلاطين وفعل ذلك بالجص المقربس الفاخر الصنعة وزرقش ذلك كله بروقة الذهب واللازورد، وركب في الشامسات التي بجوانب القبة أشكالا متقنة من الزجاج الملون ثم أخذ في تغطية بعض أبواب الجامع بصفائح النحاس الأصفر.[3]

كما صرفوا على صناعة المنجز ثلاثة ألاف دينار وثمانمائة دينارا وسبعة أشعار دينار فضة من مال الأحباس وكان غطاءه من الجلد الماعز وآخر من الكتان .[4]

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص ص 388 389

[2]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983م، ص 390

[3]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري من المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الهيئة العامة لمكتبة إسكندرية مصر، 1997م، ص ص 365 366

[4]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 389

و غير أن هذه الزخرفة وجدت إعرابا من الخليفة عبد المؤمن في بدأ عهده إقتداء بتعاليم ابن تومرت الدينية في النقش والزخرفة، ومن هنا حين دخل عبد المؤمن مدينة فاس حرص أهلها على تغطية النقوش من الزخرفة خوفا من بطش عبد المؤمن يقول الجزنائي : "ويذكر أن النقش والتذهب الذي كان بأعلى المحارب ودائري القبة التي عليها غطاء ذلك بالكاغيد وعمل عليه الجص حين عزم الخليفة عبد المؤمن بن علي الدخول لفاس والصلاة بالجامع.[1]

أما بالنسبة للبناء يختلف حسب الإمكانيات على سبيل المثال مدينة مراكش والذي يشهد لها التاريخ بأن بناء منازلها من الطين والطوب المصنوع من التراب، أما غيرها من المدن مثل مدينة فاس بنية من الحجر وأسقفها من الخشب وتكون هذه المنازل بها طابقان أو الأرضية وبها مجموعة من الغرف وإذا كانت دار كبيرة لا بد أن تكون لها أروقة تدفع عنها حر الشمس ومطر الشتاء وكان لولاة الأمر دورا هام في تشجيع البناء والتعمير فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين بدأ نشاطه في التعمير والبناء، عاصمة مراكش ثم واصل بعد ذلك نشاطه في التنمية حركة أبناء البلاد .[2]

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 377

[2]- نفسه، ص ص 372 373

المبحث الثاني: مظاهر البذخ والترف عند الموحدين

دولة الموحدية دولة إسلامية أسسها الموحدون وهم من سلالة الأمازيغ تأسست في القرن الثاني عشر ومؤسسها محمد بن تومرت واستطاع عبد المؤمن أن يستحوذ على المغرب الأقصى والمغرب الأوسط وعلى كامل إفريقية عاصمتها مراكش وقد بلغت الدولة أوجها في عهد أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن ثم أبو يوسف يعقوب المنصور عمل على نهوض الدولة الموحدية علميا وثقافيا، فتولى عبد المؤمن أمور الدعوة عقب وفاة المهدي بن تومرت .

1. الطعام والشراب :

في بداية دولة الموحدين سادة حياة التقشف والزهد وهذا يعني أن الناس اكتفوا بما حضر من الطعام، لم يكن لديهم أنواع كثيرة من الأطباق، وهذا أمر منطقي لما عرف به صاحب دعوتهم من حبه لحياة التقشف، ونبذة لحياة الترف، [1] والمجون فكان طعامه اليومي رغيف من صنع أخته تصحبه كمية قليلة من الزيت أو المسمن، [2]وحياة التقشف هذه لم تدم طويلا، فبدخول دولة الموحدين مرحلة جديدة، وبسط الموحدين نفوذهم على بلاد الأندلس، واحتكاكهم بأهلها، أخذوا عنهم حياة الترف، التي من متطلباتها التنوع في أصناف الطعام وعرف عن المطبخ الأندلسي ثراءه وما زاده ثراء هو ما جلبه زرياب من وصفات بغدادية ومشرقية إلى المنطقة، وإشرافه على تعليمها لأهل البلاد .[3]

وظهر في تلك الفترة كتابان اختصا في التحدث عن الطبخ في عصر الموحدين وهما: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس لمجهول، وكتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام لابن رزين التجيني المؤرخ عام (636هـ/ 1238م) اللذان أمدنا والكثير من الوصفات بخصوصيات وميزات المطبخ في الغرب الإسلامي، [4] وبدأت ألوان من الترف والبذخ تتسرب إلى أطعمة الأمراء والخلفاء خاصة.[5]

---

[1]- ابن خلكان أبو العباس أحمد بن شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء الرمان، ج5، تحقيق إحسان عباس، بيروت لبنان، د ت، ص 46

[2]- الوزير سراج محمد بن محمد الأندلس، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1985م، ص106

[3]- حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في عصر الأموي، طبعة الحسين الإسلامية، مكتبة الإسكندرية، 1414هـ/1994م، ص 288

[4]- جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء الإسكندرية، 2003م ص ص 184 185

[5]- حسن يوسف دويدار، نفسه ص 288

✓ **طعام الطبقات الخاصة :**

كان طعام الطبقة الحاكمة والمقربين إليها والأثرياء متنوعا جداً، ومكلفا جداً، لاحتوائه على الكثير من المكونات الباهظة الثمن من أنواع اللحم كلها، ومن هذه الوصفات الثريد الذي يتكون من أنواع اللحم والدجاج ممزوج بكثير من التوابل وبهارات اللحم والبيض والزيتون وتقدم مصفوفة بنظام على طبق كبير، وقد عرف بأنه طبق الوزراء والملوك، [1] طبق أخر عرف بالأحرش وسمي في مراكش بسفيريا وهو مصنوع من لحم الغنم المدقوق المنقوع بالخل والزيت والثوم والتوابل مع القليل من البيض، يمزج الخليط ثم تأخذ منه كرات صغيرة تقلي في الزيت ويجمع مع الدجاجة بملح وفلفل وزنجبيل وزعفران ولوز مقشر ويترك حتى ينضج ويخرج من القدر ويصب في إناء نظيف، والصنهاجي الملوكي المكون أساسا من لحم البقر ولحم الغنم وفراخ الحمام واليمام وكذلك العصافير ويرش فوقه لوز مقسوم ويطهى في الفرن.[2]

واشتهرت هذه الطبقة بحبها لأمخاخ حتى أن موائدهم لم تخلوا منها، ولم يقتصروا على نوع معين منها، فأكلوا أمخاخ كل ما يذبح من الحيوانات والطيور وفضل بعضهم أكل المشاوي، وعرف في تلك الفترة شواء عجل كامل وكذلك خروف كامل وتقديمه كما هو على موائد المترفين .[3]

وأكلت جشيشة المصنوعة من القمح المطحون الخالي من النخالة والمعجون بالماء والحليب وعندما ينضج يخلط عليه لحم قليل ويصب عليه بعض من الدجاج المطبوخ، وأكلوا ما عرف بتفايا المكونة من لحم الغنم السمين مع اللوز المقشر المحلول بماء الورد البيادق .[4]

وتنوعت طرق إعداد المعجنات، فالمعجنات الطليطلية كانت تصنع من دقيق القمح النقي على شكل هلال وتحش بخليط معجون الطري وتخبز على ملة فوق النار، وعندما تنضج تغطى بطريقة من العسل والزبدة ومزيج من السكر والقرفة .[5]

---

[1]- دايفيد وينز:فنون الطبخ في الأندلس، تر عبد الواحد لؤلؤة، مركز الدراسات الوحدة العربية الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، بيروت، 1999م، ص 186

[2]- جمال أحمد طه، نفسه، ص 186

[3]- دايفيد وينز، المرجع السابق، ص 187

[4]-، نفسه، ص 103

[5]- دايفيد وينز، المرجع السابق، ص 103

لم يقتصر طعام الخاصة على الموالح من الأطباق فقد أحبوا أكل الحلويات كثيرا وأبدعوا في صناعة الكثير منها كسنبوسك الملوكي الذي كان يعمل في دار المنصور، وهو عبارة عن سكر أبيض ممزوج بماء الورد واللوز المهشم وبعض التوابل تخلط كلها ويصنع منها أقراص على قدر الكعك .[1]

وعرفت حلوة الترافست التي تصنع بتفتيت رغيف الرقائق دقيقا ويضاف عليه كمية من الماء ومثلها من العسل مع مزيج من الزعفران ويخلط الكل حتى يكون عجينة متماسكة ويفرغ في جفنة وينثر عليه لوز، ويصنع في وسطه حفرة وصنع الكعك بطريقة مختلفة، [2]والحلوى المسمات القاهرية التي كانت تصنع من خلفاء بمراكش، وهذا النوع من الحلوى تفننت السودانيات في صنعها وأنواع أخرى كثيرة اتفق أغلبها على دخول العسل ومكوناتها.[3]وهي عبارة عن لوز مع سكر مضاف إليه سنبل وقرنفل والقليل من كاثور ومسك محلول ماء الورد وبدق الجميع حتى يخلط جيداً، ثم يعمل منه الكعك وأرغفة ويبرد قليلا ثم يغمس في شراب الورد السكري .[4]

✓ طعام باقي شرائح المجتمع:

تنوع الطعام وذلك حسب كل أسرة وما تملكه من إمكانيات إلا أن الخبز لم يخلوا من أي دار من الدور في تلك الفترة، وكان يقدم في الفطور والعشاء، [5]ولا يزال الخبز كذلك إلى اليوم، إذ تعتمد عليه الوجبات في أغلب البلدان متوسطية، وكثرة الأرجاء في مدن المغرب يدل على الاستهلاك الواسع للقمح والشعير، المادتان الأساسيتان في صنع الخبز، [6]ولصناعة الخبز كيفيات كثيرة، وكان خبز القمح أفضلها وأغلاها لما لهو من فوائد صحية كثيرة، ونصح الأطباء مرضاهم بتناول خبز القمح دون سواه، وقد ذكر

[1]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 213

[2]- لهادي روجي الإدريسي، دولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، نقله إلى العربية الحمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992م، ص 200

[3]- جمال أحمد طه، نفسه، ص ص 191 193

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 74

[5]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 195

[6]- الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، المصدر السابق، ص 231

المصنفات أسماء أنواع من الخبز المصنوع من القمح منها خبز الطابوني، المغموم، المشوك، الرقاق، اللبق، المشطب، المرشين الأصفهاني.[1]

وتوجد أنواع أخرى من خبز كخبز الغرس وخبز الدخن وخبز الشليم وخبز الذرة وخبز الحمص وخبز شجرة الأرز، عرفت الفترة انتشار أنواع كثيرة من الوصفات بين الناس منها وصفة تاحفصت المعروفة بمراكش وهي نوع من التفايا المقلية المكونة من لحم المقطع إلى قطع صغيرة ممزوج ببعض التوابل، يترك على نار حتى يجف ويقلى بعدها في الزيت حتى يتم نضجه وطبق المخلل وهو طبق يمكن الاحتفاظ به لأيام دون عن يفسد وطعام المكون من لحم البقر والغنم السمين المقطع قطع صغيرة ويضاف إليه الملح والبصل وكزبرة اليابسة والزيت ويوضع على نار هادئة لينضج بعدها تسف من مرق وتقلى بالزيت حتى تحمر في طاجين ويضاف عليها اللوز والزعفران، وتعاد إلى الفرن حتى تجف مرقتها.[2]

وطبق الأساسي الذي أعده عبد المؤمن لأصحابه ومن مكوناته لحم الخرفان، [3] وكانت أطباق تلك الفترة غنية بأنواع كثيرة من الخضر، ومنها السبانخ الذي يعد مكونا أساسيا في أطباق كثيرة وطبق البيسار المكون من فول مطبوخ من الزبدة والحليب والنيسابورية المكونة من سبانخ والجزر والمستلقية هي الأخرى تتكون من سبانخ وفول والكوكبية المصنوعة من سلق وحمص وثوم .[4] واشتهرت أطباق السمك في مناطق الساحلية خاصة ومثلت طعامهم الأساسي لتوفرها.[5]

ومن الأطباق التي أعدت في تلك الفترة السكباجة، السنبوسك، البرزق، وعدس بالحم المقلي، وأعدت الهريسة بطريقة مختلفة منها المالح ومنها الحلو، ويعد المالح بلحم العجل أو لحم الضأن وحتى صدور الإوز وأفخاذها، وكذلك الدجاج وقد تصنع بالأرز، أو بفتات الدرمك عوض القمح، [6] وكذلك الإسفنج المقلي والمعسل والكعك والمسمنات والشهدة والمشماش والقطايف العباسية والزلابية [7]، كانوا يعملون من

[1]- جمال أحمد طه، نفسه، ص ص 189 190

[2]- نفسه، ص ص 179 180 193

[3]- البيذق، المصدر السابق، ص 119

[4]- جمال أحمد طه، نفسه، ص ص 193 20

[5]- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق ص 202

[6]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص ص 188 190

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 74

لحم المشاوي في سفود ويحتفظون به لمدة طويلة في شكل قديد. وكان طعام المسفوف والأولياء الصالحين طعاما خاصا، فقد كانوا أناسا يكتفون بما يسد جوعه فقط، كثيرا ما كانت وجباتهم تنحصر في خبز باللبن وأحيانا خبز بالماء، وخبز وحده غير أن هذا النظام طبقوه على أنفسهم فقط، حيث كانوا يقدمون أفضل ما عنده من طعام لزائرهم فأبوا يعزى كان يؤثر على نفسه ويمنح الواصلين إليه العسل واللحم والدجاج. وكان أبو محمد عبد السالم بن أبي عبد الله بن محمد كان لا يأكل إلا الأسماك وأقتات البعض على خبز كان يصنع من أصول الأرض، أورغيف بالعسل، والعصيدة والشعير[1].

المشروبات :

يأتي على رأسها الخمر الذي كان المهدي متشددا في تحريمه واتبعه في ذلك عبد المؤمن والمنصور الذي أمر بإراقة كل مسكرات، [2] حيث وجه رسالة إلى كل ولايات أمر فيهل بإخلاء الحوانيت التي يباع فيها الخمر، وجعلها حوانيت مخصصة لما هو حلال من المبيعات، ورغم المجهدات التي بذلها الموحون للحد من ظاهرة شرب الخمر إلى أنهم لم يتمكنوا من ذلك كان شرابها سبب في حرمان محمد بن عبد المؤمن من الخلافة .[3] وكانت المجالس التي يشرب فيها الخمر كثيرة والدليل على ذلك المصنفات الشعرية التي ورد فيها أن مجالس اللهو لا تكتمل إلا بوجود الخمر، فديوان ابن سهل ملئ بذكر هذه المجالس وما كان يحدث فيها ومنها قوله:

حَتَّى يُخَيَّلُ إِنِّي شَارَبٌ ثَمِلٌ بَيْنَ الرِيَّاضُ وبَيْنَ الكَأْسِ والوَتَرْ.

من رغم من أن الله تعالى قال في تحريمها " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ."[4]

وكانت المصنوعة من العنب هي الأكثر انتشارا في المغرب وكانت تعرف بالرب، وهذا المشروب إذا لم يغلى كثيرا لم يكن مسكرا ويسمى برب الحلال، وهو طبيخ عنب.

[1]- أبي يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تح علي عمر مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة مصر، 2007م، ص 181 217

[2]- النجار عبد المجيد، المرجع السابق، ص363

[3]- ابن عذارى، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص 173

[4]- سورة المائدة، الآية 90

2. الملابس

نذكر دائما أن الموحدين حاربوا في بداية دولتهم كل مظاهر الترف والتفاخر ونادوا إلى الرجوع إلى الدين والسير وفقا لتعاليمهم .[1]

لقد شهدت دولة الموحدين تطور في الملابس والأزياء المختلفة أن تعكس الكثير من الحقائق كما، كان احتكاك بين المغرب والأندلس سبب في تفسير الآراء الكثيرين وانغماسهم في الملذات الدنيا ومتاعها ومنها اللباس المخملي فلبسوا الفراع القباطي والبرانس غالية الثمن، [2] حيث كان الإمام المهدي بن تومرت يرتدي برنوس وكان يفرشه على الأرض عند تعليمه لطلبته حيث يقول البيذق " وفرش له البرنوس فلما رآه إسماعيل قد فرش برنوسه لطلبته، قال له : يا أخي كيف تفرش البرنوس لنور العلم، النور لا يكون إلا على النور، فأزالا من عليه كساءه وفرشها وقال: أقعد أنت أحق بها مني".[3]

ويذكر كمال أبو مصطفى نقلا عن الونشريسي عن بعض أزياء أهل المغرب في العصر الإسلامي، فذكر أن الملابس الرجال: الجبة الملف والدراعة والسروال والغفارة والمحشو، من ثيابهم ثوب رومي كان يلبس في الشتاء ليقي البرد يسمى " الدرندين" ويصغه الونشريسي بأنه لباس مقتصد لا إسلافا فيه ينتفع به في الوقاية من برد الشتاء القارص.[4]

كما أن الموحدين حاربوا في بداية دولتهم كل مظاهر الترف والتفاخر وناجوا إلى الرجوع إلى الدين والسير وفق تعاليمه، [5]ولهذا لم يتكلفوا كثيرا في أزيائهم، فالمهدي بن تومرت لم يلبس طوال حياته إلا عباءة مرقعة مطبقا بذلك ما نادي إليه، وكذلك كان الحال بنسبة لعبد المؤمن بن علي الذي كان لباسه قميص وسروال وجبة من الصوف لم يزد عنه عنهم ولم يغيرهم إلا أن مات.[6]

---

[1]- ابن الاثير، ج8، المصدر السابق، ، ص 296

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 76

[3]- البيذق، المصدر السابق، ص 33

[4]- كمال أبو مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الناشر لمؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية مصر، د ط، 1997م، ص 47 48

[5]- ابن الأثير، نفسه، ص 296

[6]- شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي في عهد الموحدين، 524هـ667هـ /1126م . 1268م، رسالة ماجستير في تاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2007م، ص 190

كما وجدت المصامدة وهم القبائل المؤنسة للدولة وغالبية مكان المنطقة ملابسهم من الصوف ويحتزمون من أوساطهم بمآزر صوف ويسمونها أسف قص مع ترك رؤوسهم عارية، وقد حث ابن تومرت أتباعه على التقشف في ارتداء الملابس والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن، وضرب لهم المثل في ذلك حين ارتدي عباءة مرقعة زهدا في الغالي من الثياب.[1] وقد اقتدى به خليفته عبد المؤمن، فكان يلبس ثياب الصوف المكونة من القميص والسروال والجبة، وذلك بالرغم اتساع سلطانه وأمواله الكثيرة غير أن هذا التقشف والزهد في ارتداء الملابس الغالية لم تستمر عقبة الخليفة عبد المؤمن، إذ أقبل أفراد الشعب ورجال الدولة على ارتداء الملابس الحريرية المطروزة، وقد غالبوا في ذلك مما دفع الخليفة منصور الموحدي بإصدار أمر يبيع ما في الخزائن الدولة منها، وطلب الراعية لتخفيف من ارتداء هذه الملابس مع التقليل من تطريزها "أما هو قد ارتد الملابس الصوفية فكانت الغفائر الزينية والبرانس المكسية بخلفاء الموحدين". [2]

وتفشى في هذا لبس الديباج المذهب، وتكلف الأعيان كثيرا في لباسه، فأمر بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم توفي ولم تستقص، [3] أما جنود الموحدين فقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى نوع الثياب التي كانت توزع عليه من قبل الخلافة ففي سنة 558هـ /1162م، وزع الخليفة عبد المؤمن على جنوده الثياب والكساء والعمائم والبرانس.[4]

كان غطاء رأس الخاصة يتمثل عادة في العمامة وهي عبارة عن شريط من القماش ملفوف حول الرأس وكان فقهاء المالكية، وفق لتعاليم مذهبهم، يستذكرون بملابس العمامة، فكان طرف العمامة يحيط بالعنق.[5]

بالعنق.[5]

وكان بنو حماد في بجاية يتعممون بعمائم من الشرب (كتان رقيق) مطروز بالذهب يمكن عن يبلغ ثمنها ستمائة دينارا فما فوق، وكانت ملفوفة ومشدودة شدا حتى تجلب للناظر، وكان بعض الحرفين المختصين في صنع تلك العمائم يتقاضون دينارين أو أكثر عن كل عمامة وكانت لهم قوالب خشية في

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 440

[2]- نفسه، ص 441

[3]- ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص 174

[4]- حسن علي حسن، نفسه، ص 441

[5]- الهادي روجي الإدريسي، المرجع السابق، ص 293

دكاكينهم تستعمل لهذا الغرض وتسمى الروس، وقد اشتهرت الملابس المصنوعة في القلعة بني حماد بجودتها ورقتها، وكان لباس العيد المصنوعة من تلك المدينة يسوى ثلاثين دينارا.[1]

وقد منع ابن تومرت في بجاية منع انتعال الأقراق ذات السيول المذهبة بالتنعم بالعمائم وحرم على الرجال ارتداء الجلاليب المعروفة والتزين يزينة النساء.[2]

أما زي النساء في المغرب فقد أشار النوازل إلى ثياب الحرير والكتان والقطيفة كان يلبسنا في أقدامهن الجوارب والأخفاف وشاعت لدى نساء المغرب لبس النحال أو الخفاف التي تحدث صوت أثناء المشي، يجذبنا انتباه الرجال إليهن .[3]

3. الاحتفالات :

شهد سكان المغرب الأقصى العديد من الاحتفالات والتي كانت تقام في المدن المغربية نتيجة لمناسبات مختلفة، وقد اشترك أبناء الشعب في هذه الاحتفالات معبرين عن شعورهم وعاطفتهم إزاء هذه الاحتفالات، ويمكننا أن نقسم هذه الاحتفالات باعتبار بواعثها ودوافعها إلى أنواع ثلاثة فهناك احتفالات دينية وأخرى عسكرية، واحتفالات متنوعة نظرا لأسباب متعددة.[4]

أ. الاحتفالات الدينية:

وهذه ارتبطت بالمناسبات الدينية المتكررة كالصلاة الجمعة والأعياد والليالي الدينية وقد كان الخلفاء الموحدين احتفال خاص بصلاة الجمعة حيث يخرجون في موكب من كبار رجال الدولة قاصدين المسجد الكبير بالعاصمة، [5] ويذكر كمال مصطفى نقلا عن الونشريسي أن الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف كان كان يلقي اهتماما كبيرا من قبل ولاة الأمر وسائر طبقات المجتمع المغربي حيث اعتاد الناس على الاحتفال

[1]- الهادي روجي الإدريس، المرجع السابق ص ص 206 207
[2]- نفسه، ص 207
[3]- كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 49
[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 418
[5]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 418

بتلك المناسبة، بإيقاع الشمع وتزيين بما حسن من ثياب كما كانت تكثر في تلك المناسبة الصدقات على الفقراء والمساكين واليتامى.[1]

وأيضا كان شهر رمضان لديه مكانة خاصة حيث يحتفل به الشعب في كل مكان بإقامة الأذكار وقراءة القرآن وتأدية الصلوات بالمساجد وكان خلفاء يحتفلون بذلك الشهر أيضا بقراءة المصحف، وقد اختص المغاربة ليلة السابع وعشرين بالتعظيم والتكريم، وفي رواية أخرى أنها ليلة التاسع وعشرين حيث كانوا يقومون بالاحتفالات اعتقادا بأنها ليلة القدر وهي ليلة معظمة عند سائر المسلمين.[2]

ويذكر أيضا أن الونشريسي أن أهل المغرب اهتموا أيضا بالاحتفال بعيد ميلاد أطفالهم فكانوا يحتفلون بالعقيقة وهي وليمة تكون من أحد الخراف ونوع من الحلوى اشتهر بها المغاربة وتسمى العصيدة، ويطعم من ذلك الفقراء والأقارب وأسرة المولود وكانوا يقصون أول خصلة من شعر الطفل في اليوم السابع من ولادته كذلك كان أهل المغرب يحتفلون بختان الطفل فيقون بهذه المناسبة ويدعى فيها الأهل والأقارب كما وجد لديهم ما يسمى بالصنيع.[3]

أما الأعياد كان الخليفة يخرج لتأدية صلاة العيد في موكب من كبار ورجال الدولة، وبعد اقتضاء الصلاة يتقدم كبار رجال الدولة لتحية الخليفة وتهيئته ويدعو لهم بذبح الكبش بين يديه في عيد الأضحى مما يلحق بالاحتفالات الدينية تلك الاحتفالات التي تمزج فيها الحزن بالمشاعر الدينية حيث كان الناس يخرجون في شبه مظاهر دينية للمشاركة في جنازة أحد الصالحين من العباد والمتصوفين والذين امتلأت بهم المدن المغربية في القرنين الخامس والسادس من الهجرة، فابن العريف المتصوف والمتوفى بمراكش سنة 536هـ/1141م، حين مات احتفل الناس بجنازته وأبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي المعلم من داي بلاد تادلة ونزل بمراكش وبها مات سنة 572هـ/1176م، فحين مات لم يعلم بموته سوى

[1]- كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 44

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 419

[3]- كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 45

القليل من حوله، فلما خرجوا بجنازته من باب الديغين أتى الناس إليه من كل جهة واحتفلوا بجنازته وحضرها خلق كثير.[1]

ب . الاحتفالات العسكرية:

قد اتبع الموحدون عادة العرض العسكري وكانت من الأشياء المحبة إلى نفس الخليفة عبد المؤمن أن مجلس ويستعرض جنوده وكتائبه وكان الناس يخرجون لمشاهدة المواكب الجند وحشودهم وقد استمر العرض العرض العسكري بمراكش سنة 579هـ / 1183م، وذلك حين جهز الخليفة يوسف عبد المؤمن، [2] جنوده للعبور إلى الأندلس والناس ويشهدون هذا العرض ويقول ابن عذارى" وفيه . أي سنة 579هـ . أمر أمير المؤمنون أبو يعقوب بتسيير الموحدين والعرب القبائل للغزو ... وكذلك التبرير بخارج مراكش والناس ينظرون في ذلك كل يوم، دام هذا الحال شهر جمادى كله"، ولم يكن الاحتفال بالعروض العسكرية قاصرا على العاصمة، ولكنه كان يشمل كل المدن التي يمر بها الجيش في طريقه إلى المعركة ويأتي في مقدمة هذه المدن مدينة تينملل العاصمة الأولى للموحدين، حيث يعود خلفاء الموحدين زيارة قبر المهدي ومن دفن يها من خلفاء الموحدين ثم التوجه بعد ذلك إلى المعركة، وما يصحب هذه الزيارة من دخول مواكب الخليفة مدينة تينملل وخروج الناس لاستقبالهم والترحيب بهم ويقول أيضا ابن عذارى " وفي هذه الحركة . أي خروج المنصور الموحدي سنة 582هـ إلى قفصة . اخترع آفراك المعد لنروي له في غاية الحسن والجمال وقدم الارتقاء إلى تينملل لزيارة قبر المهدي على جرى عوائد سلفه في تيمنهم بتقديمه وقضاء حقه وتعظيمه".[3]

وتبرك بالقرآن الكريم قام الخلفاء بوضع مصحف عثمان بن عفان على جمل مرتفع عليه قبة حمراء لتصونه وهو منظم بالجوهر والياقوت الأحمر والأصفر، وقد موا الجمل على مركب العسكر فسار على أحسن هيئة وتعبئة العساكر ورائه قد ملأوا الأرض بطويل والعرض حتى وصل رباط الفتح فميز بها العساكر والجيوش فاجتمع عسكر الموحدين عشرة آلاف فارس في عسكر الحرب وعشرة آلاف فارس دون مطوعة الناس.[4]

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 420 421

[2]- نفسه، ص 421

[3]- نفسه، ص 420

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 118

ويصف لنا ابن القطان مواكب الموحدين العسكرية بقوله " وعلم الناس الحركة كيف تكون فأمرهم إذا عزموا على الركون أن ينادوا منادى الاستخارة بالله والتوكل عليه وإذا تحركوا أن يقدموا أمامكم لواء أبيض مع عدد من الرحالة يكون بينهم وبين الأمير متقدم على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به ويحضون به ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعروفون بال ثم كل قبيلة على ترتيب وحسن وهيئة معه علامته.[1]

ج ـالاحتفالات المتنوعة :

وهي احتفالات التي كانت تقام في العاصمة وغيرها من المدن المغربية بسبب حدث هام أو مجيء وقد أوت وتشيدا إحدى المنشآت ويأتي في مقدمة الأحداث العامة التي كانت تمر بها البلاد، وتولى أحد خلفاء الموحدين منصب رئاسة الدولة فهذا يعني مجيء كثير من الوفود المبايعة إلى العاصمة والاحتفال بمبايعة الخليفة الجديد ومن الأحداث العامة التي تقام فيها الاحتفالات، استقبال الخليفة لوفد من الوفود حيث كانت تقام احتفالا ومجلس الخليفة لاستقبال الوفود القادمة، وما يصحب ذلك من إلقاء القصائد والخطب، وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة وصفا شائعاً للاحتفالات التي أقيمت فيه العاصمة مراكش بمناسبة استقبال الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وفود العرب القادمة للمبايعة سنة 566هـ/1170م. فما أن وصلت الأنباء باقتراب وفود العرب من العاصمة حتى صدرت الأوامر لجميع الموحدين أن يستعدوا ووزعت عليهم الدروع والبيضات والرماح والحرق والأسلحة والكسوات والرايات.[2] وأيضا من الاحتفالات التي شهدتها العاصمة مراكش مناسبة شفاء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وجلوسه للناس اقبلوا من كل مكان للروية الخليفة والاطمئنان عليه، [3] وكذلك الاحتفال الكبير الذي أقيم بجبل الفتح بعد إنشاء مدينة عليه بأمر الخليفة عبد المؤمن وكان الاحتفال سنة 555هـ / 1159م، حيث جلس الخليفة واتته الوفود من جميع أرجاء البلاد ومعهم الشعراء والأدباء حيث ألقيت الخطب والقصائد ابتهاجا بهذا العمل العظيم

[1]- ابن القطان: أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي، (ت 628هـ /1223م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح علي مكي المطبعة المهدية تطوان، المغرب، د ت، ص 127

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 426

[3]- نفسه، ص 428

والخليفة يوزع الأموال بهذه المناسبة السعيدة ة هكذا شهد الشعب المغربي العديد من الاحتفالات والتي شارك فيها معبرا عن فرحته وسعادته.[1]

وسائل التسلية :

شغل الناس أوقات فراغهم في عهد الموحدين بالاستمتاع بكل ما أتيح لهم من وسائل المتعة والتسلية لأن في ذلك تجديد لطاقاتهم وشحن لهمومهم، ومن بين الوسائل التسلية التي عرفوها ممارسة بعض الرياضات وبعض اللعب، وارتياد الحدائق والمنتزهات وسماع الموسيقى والغناء والإقبال على أماكن اللهو والأنس .

انتشرت في الكثير من المدن المغربية الحدائق والبساتين، والتي اتخذها ولاة الأمر والناس مكانا للتنزه والترويح ويأتي في مقدمة هذه الحدائق تلك الحديقة الكبيرة التي أنشأها الخليفة عبد المؤمن وتعهدها الخلفاء من بغدة وغرس فيها أنواع كثيرة من الثمار وكذلك المتنزهات التي أنشأها الموحدون بمدينة سلا وحدائق سبتة والتي وصفها العمري بقوله "و في بر العدوى أماكن للفرجة متعددة آخذ هكذا بمجامع القلوب وأزمة الأبصار ببلونش متنزهة بظاهر سبتة على البحر في نهاية من حسن الوضع وانحدار المياه التي لها على الصخور ذوي والتفاق الأشجار..."

واشتهر جبل غمارة بكثرة المنتزهات.[2] واستخدمت الزوارق للتنزه حتى أن الخليفة الرشيد مات غريقا، عندما كان يتنزه في أحد البحيرات، فيقول ابن عذارى في ذلك " دخل في زورة في الصهريج في الرياض الكبير المذكور مع بعض جواريه برسم التنزه فانقلب بهم الزورق".[3]

وقد كانت المتنزهات مقصد الخلفاء الموحدين وعامة الناس فالمنصور الموحدي كثيرا ما تربض في البستان الكبير بمراكش، وقد ألحقت بهذه المنتزهات البرك المائية الكبيرة وهكذا كان أنباء الشعب يجدون وسيلة للتسلية وذلك بسباحة في بركة والبستان، وكما استخدموا الزوارق للتنزه والتسلية.[4]

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق ، ص 429

[2]- نفسه، ص ص 428 429

[3]- ابن عذارى المراكشي، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص 359

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 429

4. العمران:

القصور والمنازل وزخرفة المساجد :

شهدت دولة الموحدين اهتماما بالغا من طرف خلفائها في الإنشاء والتعمير في المغرب وحظيت مراكش والرباط وغيرها من المدن المغربية بكثرة منشآت الموحدية وقد أولى الخليفة عبد المؤمن اهتمامه بالبناء والتعمير.[1] ومن بين الخلفاء الذين اهتموا بذلك: عبد المؤمن بن علي وأبو يعقوب يوسف، والمنصور والناصر أما عبد المؤمن فقد اهتم بالعمارة وتشيد اهتماما حاض فهو الذي أمر ببناء سورتا كرارة أو تاجرات من تلمسان في سنة 540هـ وبناء مساجدها الجامع وهو الذي قام ببنائها جامع تينملل وسع المدينة عند زيارته لقبر المهدي في سنة 548هـ وبناء القصور في مراكش وبناء المساجد وعبد المؤمن الذي أسس جامع الكتبيين بمراكش.[2]

عندما تولى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ازدهرت البلاد اقتصاديا وكثرة المال بأيدي الناس، أقبل الناس على بناء المنازل والقصور ويقول ابن صاحب الصلاة "واختلط العالم به . أي بتجديد مبايعة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن . وبعته، وكثر المال في الأيدي من تولى سمعه وبركته وبنو بمراكش الديار العتيقة إغترسوا خارجها أينع حديقة:."وقد بنى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن القصور على الطريق من مراكش العاصمة حتى مدينة سلا قاعدة الجيوش الموحدية المتجهة إلى الأندلس. واتبع الخليفة سياسة والده في الإنشاء والتعمير.[3]

كانت مدينة فاس ومراكش تمتزان بكثرة المنازل والقصور وقد اختلفت طرق البناء من مدينة إلى أخرى وذلك راجع إلى الظروف الطبيعية والإمكانيات المحيطة بالمدن وبالنسبة إلى مدينة مراكش كانت منازلها في بادئ الأمر مبنية من الطين والطوب المصنوع من التراب، فلما أراد أمير المسلمين علي بن يوسف بناء قصره استخدم أهلها الحجر المجلوب من جبل انجلترا القريب من مراكش، أما بنسبة إلى مدينة فاس استخدموا أهلها الحجر والأجر وكانت أسقف منازلهم من الخشب، وكما كانت بعض المنازل تؤجر لمن لا

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 373

[2]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 739 740

[3]- نفسه، ص ص 389 390

يملك منزل خاص به.[1] أما بالنسبة للقصور قد امتازت بسعة والضخامة واشتمالها على كل ما يحتاجه صاحب القصر ويقول المنوفي " ويكفي أن كل قصر من قصورها . أي قصور مراكش . مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك حتى يخلق الرئيس منهم بابه على الجميع خوله وأقاربه ما يحتاج له أمر إلى خارج داره ولا يشتري شيئا من السوق المآكل ولا يقرأ أولاده في مكتب خارج "، بينما القصور التي بناها المنصور الموحدي، كانت مزودة بكل ما يلزمها وذات أصوار عالية وبها مقر الخلافة بالإضافة إلى عدة ديار منها دار البلور ودار الريحان فكل دار محاطة بالبساتين.[2]

كان أبو يعقوب مولعا بالإمارة محبا لها ويرجع الفضل إلى الشروع في بنيان مدينة الرباط الفتح وعاقه الموت عن إتمامها فأتمها ابنه المنصور، وكما يرجع الفضل في إنشاء الجسر الموصول بين اشبيلية وربطها القبلي طريانة كما قام ببناء المجسد وتحصينات وهو الذي أسس حصن الفرج من اشبيلية كما أتم بناء جامع اشبيلية وأقام له الصومعة .[3]كما شهدت عاصمة مراكش اهتماما كبيرا وبالغا بإنشاء المساجد فيها والعناية بها، وعندما شرع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في بناء العاصمة بدأ في بناء مسجدها الكبير، فلما تولى ابنه أمير المسلمين علي بن يوسف اهتم بالزيادة في البناء الفني وقد كلفه ذلك بسبعين ألف دينار.

وقد شهدت مدينة فاس اهتماما بالغا بإنشاء مساجد فيها والعناية بها فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين أمر سكان كل شارع بالمدينة ببناء المساجد ويعترض للعقاب وذلك منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها المدينة كذلك أصدر الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي أوامره ببناء المساجد في جميع أرجاء البلاد وقد أحصيت مساجد مدينة فاس في العصر الموحدي فكانت سبعمائة واثنين وثمانين مسجد. [4]

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 390

[2]- نفسه، ص 391 392

[3]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 750 751

[4]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 273

المبحث الثالث : مظاهر الترف والبذخ عند الصنهاجة

تعد صنهاجة من أهم القبائل المشكلة للمجتمع البربري ولم تكن صنهاجة مجرد قبيلة بل كانت شعبا عظيما ومن أهم قبائل صنهاجة لمتونة وجدالة ولمطة ومسوفة وزناتة، وكان الترف في ألبستهم العجيبة والفاخرة، وفي قصورهم ومنازلهم التي تجاوزت تكاليفها آلاف الدنانير، فقامت صنهاجة بالانغماس في النعيم والترف وتنافس الناس في بناء وتباهو باللباس الحرير والاكل الطيب .

1. الأطعمة :

إن المأكولات التي كان يتناولونها الصنهاجيون كانت تستمد عادة من المنتوجات الحيوانية والغلات الزراعية التي كانوا يخدمونها في أراضيهم وتحضر بطرق وكيفيات مختلفة ويبدون من خلال وفرة الإنتاج الزراعي، وكثرت الأرحية ببلاد صنهاجة لاسيما بالمدية وملیانة والجزائر بي مزغنة أن أغلب الناس طعامهم كان يحضر من نتاج هذه الأرحية فقد كان يصنع منها "الدشيش" أو " الفريك"، المطحون طحنا خشن وغالبا ما يطهى باللحم، وهي أكلة مازالت منتشرة بين سكان المنطقة إلى الآن وكثرة ما تكون مطلوبة في الولائم وفي أثناء شهر رمضان.[1] كما يبدو أن الدشيش هو نوع من حساء الشعير المدقوق ويفتت فيه الخبز ويسمى بالمرق وهو يشبه الحشيش المصنوع من الشعير والمصنوع في الفرن ويسمى الدقيق الأبيض المستخرج من المطحنة ويسمى الدقيق الغليظ، [2]

وقد استعمل الصنهاجيون تلك الأرحية في صنع الطعام أو الكسكس الذائق الصيت في بلاد المغرب كلها وعادة ما يحضر من دقيق أو شعير المطحون على شكل بلورات صغيرة ويمزج عند طهيه بالخضر واللحم ومزال هو الأخير من أبرز سمات القبائل العربية إلى يومنا هذا، [3] كما انتشرت بينهم دون شك على التخزين اللحم عن طريق إضافة الملح وتجفيفه ليصبح ويسمى القديد ويستخدم خاصة مع المرق أو يطلق على هذه الآكلة اسم مرق الدقيق، ويضاف غلى هذه الأطعمة مختلف أنواع المأكولات التي لا تحتاج إلى

[1]- رضا بالنية : صنهاجة المغرب الأوسط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ، قسنطينة، 2006م، ص 129

[2]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص ص 199 200

[3]- رضا بالني، نفسه، ص 129

طهي، والتي تشتهر بها صنهاجة اللبن والحليب والزيتون وبعض الخضر أما فاكهتهم تمثلت في التين والعنب والعسل والسفرجل.[1]

2. الملابس :

تختلف ملابس سكان المغرب باختلاف البيئة الجغرافية، فسكان المناطق الجبلية والأرياف الباردة يحتاجون إلى ملابس صوفية تقيهم قر الشتاء، أما سكان الصحراء حيث حرارة الشمس فكانوا يلبسون لباس خفيف يستر عوراتهم، كما يلعب تفاوت المستوى المعيشي بين السكان دورا كبيراً في نوع اللباس الذي ترتديه كل فئة، فأهل المدن المستقرون غالبا ما يلبسون ثيابا أنيقة وفاخرة، على عكس أهل البدو واللذين يميلون إلى لبس ثياب خشنة وبسيطة.[2] ولقد كانت العمامة تستعمل لغطاء رأس وهي عبارة عن شريط مستطيل من القماش ملفوف حول الرأس، وكانوا يستعملون القطن والكتان لصنع ملابس العيد التي يرتديها الزوج، وهي متركبة من ملحفة ومنديل. وكان العامة يضعون على رؤوسهم قلنسوة(جمع : قلانس) ملونة، بالخصوص طاقية من الصوف أو شاشية.[3]

وكان بنو حماد في بجاية يتعممون بعمائم من الشرب (كتان رقيق) مطرز بالذهب، يمكن أن يبلغ ثمنها 600 ديناراً فما فوق، وقد اشتهرت الملابس المصنوعة في قلعة بني حماد بجودتها ورقتها، وكان لباس العيد المصنوع في تلك المدينة يسوى ثلاثين ديناراً. وعندما أقام ابن تومرت في بجاية منع انتعال الأقراق ذات السبور المذهبة والنعم بالعمائم، وحرم على الرجال ارتداء الجلابيب المعروفة بالفتوحات، والتزين بزينة النساء، وكان أمراء بني زيري يتعممون بالعمامة.[4]

مما شك أن لباس صنهاجة كان من الأكسية الفاخرة والجميلة بحكم ثرائها، لاسيما الصوفية منها كي تقيها من برد الشتاء، وفي قمم الجبال فقد ارتدوا على غرار غيرهم من الجبالة المغاربة: البرانس والجلابات، وكان الصنهاجيون يصنعون ألبستهم من صوف وشعر أنعامهم وبعد تنقيتها وغسلها يقومون

[1]- رضا بالني، المرجع السابق، ص 130
[2]- نفسه، ص 131
[3]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص ص 205 206
[4]- نفسه، ص 207

بغزلها ثم تنسج على إطارات عموديا، وتضع منها مختلف الأكسية بكميات هائلة غنم منها المسلمون الشيء الكثير عند فتحهم لبلاد صنهاجة،[1] ورجل حضاري كان يرتدي الملابس التالية: الجبة والقميص والمقنعة(غطاء الرأس) والكساء. وفي الشتاء يتغط الناس بفروقط أو سمور، أغلب الأحيان بفرو مصنوع من جلد الخروف.وكانوا أهل إفريقية يلبسون البرانس السوداء، كما أن أصل البادية كانوا يجهلون الملابس المصنوعة ويقتصرون على ارتداء قطعة قماش غليظة تسمى "تليس" لا نعرف جيدا لباس النساء، إلا أن بعض أثوابهن كانت تحمل نفس أسماء ملابس الرجال، مثل القميص المرقع والثوب والجبة والكساء.[2]

وسائل التسلية:

دأب الصنهاجيون في أوقات السلم على قضاء أوقات فراغهم خاصة الرجال منهم خارج البيت، لترويح عن أنفسهم بالألعاب والملاهي يخففون بها من ألام الحياة الجبلية القاسية، فكانت تختلف أنواع التسلية والترفيه التي ألفها سكان بلاد المغرب عموما لاسيما الفروسية، كما مارسوا صيد الحيوانات التي تزخر بها بلادهم كالأرانب والطيور.[3] ومن بين أنواع التسلية التي بقيت رواجا كبيراً بينا الصنهاجيات إلا أنها على ما يبدو لا تختلف كثيراً أما هي عليه اليوم في بلاد صنهاجة إذ كان يجدنا لذتهن في تناول أطراف الحديث عند النسيج أو الصنع الأواني الفخارية.[4] كان الترف والرخاء في العيش دور كبير في استفحال ظواهر كثيرة في المجتمع، وخصوصا الطبقة الشعبية التي كانت " تقتضي أوقات فراغها في مشاهدة سباق الخيل، ولعب الشطرنج، كما الشبان يترددون على مجالس الغناء والرقص". والقصص في هذه المظاهر كثيرة، منها ما حكي عن الشاعر "الصابوني القيرواني، وما كان عليه من حال في أماكن الشرب واللهو.[5]

ومن شعره فيها:

[1]- رضا بالنية، المرجع السابق ص 131

[2]- الهادي روجي إدريس، نفس المرجع، ص ص 208 210

[3]- رضا بالنية، نفس المرجع، ص 139

[4]- رضا بالنية، المرجع السابق، ص 140

[5]- أنيسة بن جاب الله، النظرية النقدية عند عبد الكريم النهشلي، مذكرة نيل شهادة ماجستير في الأدب العربي، تخصص النقد الأدبي، كلية الآداب واللغات، قسن الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، 2010م، ص 21

ذُو غُرْفَة نَقْسِ اِعْلَامَـا لِلْفِسْقِ والعِصْيَان أَنْشَأَهَا

قَدْ وَضَعَ المِيزَانَ فِي وَسَطِهَا وكُنْتُ مِنْ أَوَّلِ قَتْلَاهَا

ومَنْ يَعْرِفُ الله فَلَا يَأْتِهَا فَمَا بِهَا مَنْ يَعْرِفُ الله .[1]

بعض المعلومات حول الموسيقى في العصر الصنهاجي، فقد كان المعز ابن باديس "عارف بعدة ضائع من الألحان والتوقعات " كان عصره في الغناء الرائع والأدب البارع والشعر الرقيق واللفظ الأنيق، وكان قد قطع عمره وأفنى دهره في اللهو واللعب والفكاهة والطرب، أعلم الناس الناس بضرب العود واختلاف طرائقه .و من الآلات الموسيقية التي كانت مستعملة، العود والرباب والناي والطبل والمزمار.[2]

4 . المسكن :

شهدت بلاد المغرب منذ القديم حركة عمرانية نشيطة تنوعت منشآتها ما بين الحصون والقلاع والقرى والمدن، غير أن مساكن أهل البادية المستقرون يقيمون في مساكن بدائية من نوع كوخ، تضاف إليها أخصاص القصب والقصب والنخيل والغرف والكهوف في الجنوب الشرقي, وكانت المنازل الموجودة في المدن تحتوي في أغلب الأحيان على طابق واحد، تأجير منزل أو طابع علوي، أما المنازل الموجودة في المدن يكون بناءها من الطوب.[3]

غير أن مساكن أهل الريف والمناطق الجبلية تختلف عنها تماما بالنسبة لسكان الصحاري والأقاليم السهبية، وتفتت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والأمصار وانتقلوا إلى سكن الخيام إلى سكن القصور ومن ظهر الخف إلى ظهر الحافر اتخذوا للسكن في أسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الأشكال مقدرة الأمثال من القوراء والمستطيلة والمربعة. بسيطة زهوا أنيقا لاختلاف ألوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها. وأخذت الدولة في مذاهب الترف وسكن القصور.[4]

[1]- أنيسة بن جاب الله، المرجع السابق ، ص 22

[2]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص ص 441 443

[3]- نفسه، ص 213

[4]- مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 212 213

وقد كانت مساكن صنهاجة المغرب الأوسط على غرار عامة أرياف بلاد المغرب بسيطة في هندستها، مبنية بالطين أو الحجارة، يعلوها سقف بيضوي الشكل مصنوع من الطين حتى يسهل انصراف المطر والثلج عنها، على عكس أسقف المنازل السهبية التي غطيت بخوص الأشجار والأخشاب، وكانت في معظمها هشة الأساس لم تصمد طويلا أمام تقادم الزمن.[1]تطور المنشآت العمرانية بعد أن سمح لهم المنصور الفاطمي باتخاذ القصور والمنازل الفخمة والحمامات باشير، فاستبحر عمران المدينة، وشاعت شهرتها، وصارت قبلة لأهل المغرب الأوسط. كما اهتم الصنهاجيون ببناء المساجد، أشهرها المسجد الذي عثر جورج مارسيه .على بقاياه سنة 1922م ومازالت اثاره إلى يومنا هذ

[1]– رضا بالنية، المرجع السابق، ص 127

نستنتج مما سبق بأن المغرب في بداية الأمر كانوا متمسكون بالدين الإسلامي، فعاشوا في المجتمع خالي من مظاهر السلبية لكن عند احتكاكهم بالأندلس انغمسوا في الترف والبذخ الذي عاشه الأندلسيين من قبل فساد في المغرب التطور والازدهار الاقتصادي خاصة عندما تولى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فكثرا المال في أيادي الناس فتميزت مدينة فاس ومراكش بكثرة المنازل والقصور.

الفصل الثاني

مظاهر البذخ والترف في الأندلس

المبحث الأول : الدولة العامرية على عهد الخلافة الأموية

1. مظاهر الترف الاجتماعية (الجواري، الرقيق، الغناء والموسيقى، الطعام و الشراب، الملابس)

2. مظاهر الترف العمرانية (الزهراء، الزاهرة، الأسوار والحصون والقلاع، المسجد والجامع)

المبحث الثاني : ملوك الطوائف

1. مظاهر الترف الاجتماعية (الجواري، الرقيق، الموسيقى والغناء، الطعام، الملابس، الاحتفالات)

2. مظاهر الترف العمران

المبحث الثالث : مظاهر البذخ والترف عند المرابطين

1. الطعام

2. اللباس

3. الموسيقى والغناء

4. الاحتفالات

تمهيد :

عند مجيء المسلمون الأوائل إلى بلاد الأندلس كانوا يحملون في طياتهم رسالة تبشيرية يقومون فيها بنشر الدين الإسلامي وكان لديهم أهداف عالية يردون توصيلها إلى عقولهم وكانت لديهم ثقة في الله عزوجل ولكن واجهوا في حياتهم انحرافات في مراحل الفتح، فكان ميلهم إلى حياة الرخاء والنعيم لإشباع ملذاتهم، ومن بين العصور التي واجهت هذه الظاهرة هي عصر ملوك الطوائف، والمرابطين، والدولة العامرية في عهد الخلافة الأموية، عاشوا في بذخ وترف ورفاهية وقد واجهوا انحلال وتفكك اجتماعي المتمثل في الاحتفالات التي كانوا يحتفلون بها بالإضافة إلى المأكولات والقصور والمنازل واللباس الذي كان يمز بين الطبقتين العامة والخاصة، وتفننوا في صنوف من البذخ والترف في جميع ميادينهم وكانوا يصرفون أموالاً باهظة في سبيل تحقيق متعتهم.

المبحث الأول : الدولة العامرية على عهد الخلافة الأموية

1. مظاهر الترف الاجتماعية

أ. الجواري

لعل أول مظاهر الترف التي عرفها الأندلسيون هي ظاهرة الاستكثار من اتخاذ الجواري سواء المتعة أو للخدمة، فاكتظاظ قصور الأمراء بالعبيد والخدم والجواري يعتبر مظهر من مظاهر الترف.[1] وقد كثرة الجواري في المجتمع الأندلسي نتيجة كثرة الحروب والمعارك التي اخذها المسلمون ضد الممالك المسيحية في اسبانيا وبلاد الفرنجة، وكذلك عن طريق التجار الرقيق الذين كونوا يأتون بهم من أماكن شتى من أوروبا وغيرها وكما كان لبعض الجواري وأمهات الأولاد تأثير على بعض الأمراء والخلفاء والكبراء.[2]

والجديد بالذكر أن الفترة الممتدة من بين سنتي(300399هـ /912م .1008م) تعتبر من أخصب الفترات، فنرى الأندلس قد ملأت سبايا من بنات الروم الأمر الذي أدى إلى رخص أثمان الجواري، حتى زخرت بهم القصور.[3]

ومما يدل على كثرة الجواري في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري قول المراكشي (646هـ)، عن المنصور بن أبي عامر: "وملأ الأندلس غنائم وسبيا من بنات الروم" فقد ذكر أنه: "قد نودي على ابنه عظيم من عظماء الروم بقرطبة وكانت ذات جمال، فلم تساو أكثر من عشرين دينارا.[4]

وهذا ناتج عن تجارة الجواري وذلك أن معظم الجواري اللواتي كن يبعن في الأسواق ما هن إلا من نتائج الحروب، وقلة كان يتم شرائهن من الفرنجة المتصلين بأرض الأندلس الذين قيل فيهم :"بأنهم أمة أشد

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 21

[2]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص ص 319 320

[3]- خالد الجبالي، الزواج المختلط بين المسلمين والأسبان من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة 92هـ 399هـ، د ن، مكتبة الأدب، القاهرة مصر، د ت، ص ص 50 94

[4]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون مطبعة الاستقامة بالقاهرة مصر، ص ص 83 84

بأسا واحدا شوكة، وأعظم إمدادا، وأكثر خلقا، يحاربون أمة الصقالبة المتصلين بأرضهم لمخالفتهم إياهم في الديانة، فيسبونهم ويبعنهم بأرض الأندلس.[1]

والجدير بالملاحظة أن الجواري كن يشملن على نوعين: جواري الخدمة، وهؤلاء جاوزن سن الشباب، والجواري بالرغم مما كان لبعض الجواري من إجابيات على المجتمع الأندلسي حيث كن يحملن الأبناء وهم صغار في بيوت أسيادهن وهذا ما رأيناه مع ابن حزم إلا أن كثرهن كان لا يدلها أن تترك سلبيات عدة على المجتمع الأندلسي منها : ما عان منه الأبناء نتيجة معاشرتهم للجواري منذ نعومة أظافرهم، فخرج من بينهم جيل كثير الظن بالنساء وخير مثال على ذلك ابن حزم الذي شب في القصور تحت رعاية الخدم وبين جموع النساء والجواري، فتعرض من خلالهن على أسوارهن وحيلهن فنشأ صبيا سريع التأثر سيء الظن بالمرأة، وأيضا كما نجد الكثير من المتاعب التي خلفتها الجواري وخاصة عند بعض الأسر الغنية .[2]

ب . الرقيق

لقد أطلق على الرقيق المجلوب من أوروبا لفظة القالبة في القرن الرابع الهجري، وكذلك من المناطق الشمالية في اسبانيا فقد ذلك ابن حوقل الذي زار الأندلس في هذا القرن أن الصقالبة كانوا يجلبون من السواحل البحر الأسود، من ايطاليا.[3]

وقد أطلق الجغرافيون العرب هذا الاسم في العصور الوسطى على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخزر بين القسطنطنية وبلاد البلغار فيشير المسعودي إلى أن الصقالية هم أجناس متعددة من الروس وبلغار والصرب والسلاف من أصول أسيوية كانت تسكن القوقاز حول البحر الأسود، [4] ولقد دأبت القبائل الجرمانية المتبربرة والقراصنة على سبي الكثير من أفراد تلك الشعوب، ويبدعها إلى المسلمين الأندلس، ولهذا

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 145

[2]- ابن حزم، فضائل الأندلس وأهلها، ج1، دار الكتاب الجديدة، د م، 1968م، ص ص 70 243

[3]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 51

[4]- نفسه، ص 52

سموا بالسلاف بمعنى الرقيق أو العبيد، ثم حور لفظه في العربية إلى صقالية وتوسع في استعماله فأصبح يطلق على الرقيق الأبيض المجلوب من آية أمة مسيحية.

وكان أغلبهم يؤتي بهم أطفالا حوض نهر الدانوب وبلاد الفرنجة ويربون تربية عسكرية، ويدربون على الخدمة في القصور والانخراط في سلك الجندية ليكونوا جنودا في الحرس أو الجيش وكان المستخدمون منهم في القصور يتم خصائهم للقيام بخدمة الحريم في أوروبا وخاصة في فرنسا ومن أشهر معالمهم معلم فردان بمنطقة اللورين، وكذلك في الأندلس وخاصة في مدينة خلف بجانة وهي شيئا القديمة عاصمة إقليم البيرة وكان معظم أهلها يهود.وقد كان الأمير الحكم بن هشام أول من استكثر منهم واتخذ منهم حرس خاص له فجلب منهم خمسة ألاف وأطلق عليهم اسم الخرس لعجمتهم.[1]

ج . الموسيقى والغناء

قد عرف عن الخليفة عبد الرحمان الناصر أنه استقدم مغنيات سكندريات لأول مرة إلى الأندلس، فيذكر ابن الأثير أنه في سنة (344هـ/956.955م) جلب الخليفة الناصر عدة جواري مغنيات من الأسكندرية.[2]

كما ازدهر فن الغناء والموسيقى في الأندلس وساعد على الازدهار ويعتبر الكثيرون عصر عبد الأوسط ازدهر بالفن والغناء والموسيقى بالأندلس، أول المغنيين دخلوا الأندلس من المشرق وكان ذلك في عصر الحكم الذي وصفه الكثيرون بالميل إلى الترف واللهو خاصة. كما كان للمتصورين أبي عامر جارية شاعرة مغنية تسمى (أنس القاروب) شغف بها وزيره أبو المغيرة بن حزم، كما كان من المغنيين الذين قدموا إلى الأندلس أيضا مغنى من مصر يدعى عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني الذي قدم حدثا متطرف يشدو بشيء من الغناء، واتصل بالحاجب عيسى بن شهيد، فلما رأى نجابته نصحه بالإقلاع عن الغناء والاكتفاء بأدبه وفضله، ففعل واتصل بالأمير عبد الرحمان، فأعجب به وقربه وصيره واليا، ثم ترقى بعد ذلك إلى المرتبة

[1]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص ص 53 55

[2]- ابن الكثير، الكامل في التاريخ، ج7، المصدر السابق، ص 254

الوزارة. وقد توفي سنة 237هـ، عن نيف وثمانين سنة على أن أهم وأشهر مغن دخل الأندلس هو أبو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب و17 تلميذا إسحاق المصلى أشهر المغنين في بغداد في عصر الرشيد.[1]

د . الطعام والشراب

لما فتح المسلمون في عرب وبربر الأندلس، كانوا يعتمدون غالبا على الأطعمة التي عرفوها في بلادهم، حتى عرفوا الكثير من ألوان الأطعمة التي كانت موجودة في هذه البلاد شيئا فشيئا باستقرارهم واختلاطهم بالسكان، فأخذت أطعمتهم تتغير، وتعدد ألوانها. كما ذكر أيضا المنصور بن أبي عامر كان له كل يوم اثنا عشر ألف رطل من اللحم عدا الصيد والطير والحيتان، وهذا لطعامه ومن قصره بمدينة الزاهرة من الخدم والحشم والجواري[2].كما أنه نظم طريقة إعداد المائدة، وتقديم الطعام عليها، حيث بدأ بالحساء ثم اللحوم والطيور، ثم الفاكهة والحلوى من الفطائر المصنوعة بالجوز واللوز والعسل، والعجائن المحشوة بالبندق والفستق، والمعقودة بالفواكه كما أنه فضل تقديم الماء والشراب ي أكواب زجاجية شفافة على أنيب الذهب والفضة وأكواب معدنية، وجعل غطاء المائدة من الأديم أو جلد الرقيق لسهولة تنظيفه بسلامي الغطاء المصنوع من القطن أو الكتان وقد شاعت التقاليد زرياب المبتكرة في مجال الطعام والشراب وآداب المائدة وبخاصة في أواسط الطبقة العليا وبدأت ألوان من الترف والبذخ تتسرب إلى أطعمة الأمراء والخلفاء وخاصة حتى كان بعضهم إذا جلس إلى الطعام يقف الأطباء بين يديه ومعهم الأدوية[3]، فقد شاع شرب الخمر كما كانت زراعته منتشرة في الأندلس قبل الفتح وكان يزرعون الكروم وكانوا يزرعونها بدون شك الكثير من أسبان غير المسلمين لصناعة الخمور لدرجة أن الخليفة المستنصر عزم على قطع أشجارها في جميع أنحاء الأندلس حتى يقضي على صناعة الخمر.[4]

ومع أن المصادر الأندلسية شحيحة في هذا المجال، إلا أن القدر اليسير من الإشارات الواردة فيها تؤكد لنا ما كان يعيشه أهل الأندلس من الترف والبذخ في طعامهم، لاسيما على مستوى الطبقة الحاكمة والمالكة للثورة، فهي عصر الخلافة الأموية يذكلر المقري:"أن عدد الفتيان الصقالية بمدينة الزهراء بلغ ثلاثة

[1]- حسن يوسف دويدار، نفسه، ص ص 266 272

[2]- نفسه، ص 289

[3]- نفسه، ص ص 289 290

[4]- نفسه، ص ص 290 291

عشر ألف وسبعمائة وخمسين فتى، دخالتهم من اللحم كل يوم بخلاف الطير والحوت(السمك)ثلاثة عشر ألف رطل، وأن المرتب من الخبز لحيتان بحية الزهراء اثنا عشر ألف خبزه كل يوم، ونه كان ينقع لها من الحمص الأسود ستة أقفزة كل يوم.[1]

هـ . الملابس

تميز الأندلسيون بعدة خصائص وصفات متميزة وصفهم بها ابن سعيد المغربي : من أهمها حبهم الشديد للنظافة، وميلهم الواضح المتأنق في ملبسه، [2]وقد كانت ملابسهم تمتاز بذات الألوان الزاهية والمحبوبة في الأندلس، وأحبها الكثيرون حتى أئمك الذين كانت تقتضي مناصبهم شيئا من الوقار واقتصاد في زينة واللباس.[3]فقد اختص المرية ومالقة ومرسيا بالوشي، المذهب الذي يتعجب من حسن صنعه أهل المشرق إذا رأوا منه شيئا، وفيتشالة من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالى ثمنها بالمشرق، يصنع بغرناطة وبسطة من ثياب المحررة من الصنف الذي يعرف بالملبد الضخم ذو ألوان عجيبة، ويصنع في مرسية من الأسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنع وآلات السفر والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي وما يبهر العقل، [4]كما كان الأندلسيون يطلقون على الثوب اسم الحلة وتكون من قطعتين الرداء والإزار، وكانت تصنع من الكتان أو القطن أو الديباج أو من الحرير الموشى وخيوط ذهبية وكانت هناك أنواع من الملابس الفاخرة مثل الوشي اليوسفي والوشي الهاشمي يلبسها الخلفاء والأمراء وبعض القضاة والعلماء.[5]

وكان التقدم صناعة النسيج في الأندلس أثر كبير في اهتمام أهلها بالزي واللباس، حيث كانت هناك عدة مدن تشتهر بصناعة المنسوجات المتنوعة خاصة مدينة المرية التي كانت تعتبر مركز صناعة المنتوجات الفاخرة من الديباج وسقلطون والأصفهاني والجرجاني والعتابي.[6]

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1، المصدر السابق، ص 265
[2]- حسن يوسف دويدار، نفسه، ص 292
[3]- نفسه، ص 294
[4]- المقري، ج1، المصدر السابق، ص 201
[5]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 296
[6]- نفسه، ص 297

وكان من زينتهم الخضاب بالحناء والكتم والكحل والتطيب بالعنبر والغالية وغيرها. أما عن ملابس النساء فكان طابعها الأناقة والنفاسة والترف وخاصة نساء الطبقة الراقية، حيث كن يتفنن في لبس المصبغات والمذهبات والديباجيات من الثياب، ويبالغن في زينتهن من التحلي بالذهب والجوهر بالإضافة إلى التطيب بأنواع الطيب المعروفة في ذلك.[1]

2 . مظاهر الترف العمران

لقد نشطت الحركة العمرانية في عهد الخلافة الأموية والدولة العامرية نشاطا كبيراً حتى فاقت قرطبة باقي العواصم العربية الأخرى، بغداد القاهرة ودمشق وغيرها، وأصبحت تستقطب الآلاف من البشر وتزدحم بآلاف المنازل والقصور.[2]

وكان التفوق على المستوى العمراني غالبا يظهر في مباني رجال الحكم، والأغنياء، وأصحاب رؤوس الأموال، ولذلك نرى أن الملوك من أشد الناس عناية بالمسكن، إذ كانوا يطلقون على قصورهم أسماء فخمة، دالة على الترف المعيشة فيها، وكانت تلحق بهذه القصور مجالس للملك ولابن خلدون نظرية في هذا المجال حيث يرى بأنه : " متى زادا العمران زادا الترف".[3]

أ. عمارة الزهراء

لقد وصلت قربطة في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر إلى ذروة، حيث كثرة حركة التشيد والبناء بها، وبلغت مستوى من التقدم والازدهار تبلغه أي حاضرة أخرى في الأندلس من قبل، [4] وفي ذلك يقول ابن عذارى عنه أنه: "أسس الاسوس وغرس الغروس واتخذ المصانع والقصور ولم يبقى له في القصر الذي من مصانع أجداده، ومعالم ألويته بنية، إلا وله فيها أثر محدث إما لتجديد أو بتزيد، وقد كان الناصر شغوفا

[1]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 298

[2]- علي حسن الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، د ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، قاهرة مصر، 2001م، ص 104

[3]- نادر فرج زيارة، الترف في المجمع الإسلامي الأندلسي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وأثار بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة فلسطين، 2010م، ص 128

[4]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 237

بالبناء والعمران، وساعد في ذلك ما وصلت إليه جباية الأندلس وخارجها في عهده من كثرة والاتساع فجعل ثلثها للبناء والعمران، [1]

حيث ذكر المؤرخون سبب بنائها: أن الناصر قد ماتت له جارية تركت مالا كثيراً، فأمر أن يفتدي بذلك المال أسرى المسلمين لدى الفرنج فلم يوجد لديه أسرى فطلبت منه الجارية له تدعى الزهراء أن يبني لها بهذا المال مدينة ويسميها باسمها، فاستجاب لذلك وأخذ في بناء المدينة سنة 325هـ / 946م، تحت جبل العروس شمال قرطبة على بعد ثلاثة أميال أو نحو ذلك.[2]

ويبدو أن الدفاع لبنائها فرأي الباحث أحمد المختار العبادي هو رغبة الخليفة عبد الرحمان الناصر في إقامة مدينة ملكية خاصة، أو دار الخلافة السنية الجديدة التي أقامها في الأندلس.[3]

أما قصة الجارية تبدو أنها من نسج خيال بعض المؤرخين العرب، وفيما يخص اسم مدينة أو نسبة إلى الأزهار حيث غرس الأشجار والأزهار على جبل قرطبة التي تقع المدينة على سفحه وخاصة أشجار التين واللوز.[4]

وأغلب الظن أن الناصر سمى مدينة الزهراء قاصدا مدلول اللفظ ومعناهن ولأنه أرض في وقت نفسه جارية المحبوبة بأن اختارا اسمها للمدينة، واستمر بناءها نحو أربعين سنة، خمسة وعشرين سنة إلى وفاة الناصر، ثم ليلة عهده الحكم أي إلى سنة 366هـ / 576م . [5]

وبدأ الناصر ببناء هذه المدينة أول محرم سنة 325هـ وكان يشتغل في حقل البناء عشرة آلاف رجل من الخدام، كان منهم في كل يوم من له درهم ونصف ومن له درهمان وثلاثة، فكانت تستخدم فيها في كل يوم كذلك ألف وخمسمائة دابة، وذكر بعض أهل الخدمة في الزهراء أنه قدر النفقة فيها في كل عام

[1]- ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992م، ص 107

[2]- ابن عذارى، ج2، المصدر السابق، ، ص ص 223 224

[3]- أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص 204

[4]- حسن يوسف دويدار، نفس المرجع، ص ص 340 341

[5]- أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شهاب جامعة الإسكندرية، مصر، 1983م، ص ص 201 202

بثلاثة مائة ألف دينار مدة خمس وعشرين عام التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدائها، بأنه توفي سنة خمسين فحصن جميع إنفاق فيها فكان مبلغه خمسة عشر بيت المال.[1]

ويذكر ابن عذارى :"أنه كان يصرف فيها كل يوم من الصخر المتجور ستة آلاف صخرة، سوى تبليط في الأساس، وأن عدد السواري التي جلبت لها بلغ أربعة آلاف مائة وثلاثة عشر سارية، جلب منها ألف وثلاثة عشر سارية من إفريقية، ومائة وأربعون سارية هدية من إمبراطور بزنطة، والباقي من مقاطع الأندلس.[2]

الحوض المنقوش المذهب من الشام، وقيلا من القسطنطنية وفيه نقوش وتماثيل، وقد أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثنا عشر تمثالا.[3]

ولعل من بواعث الناصر على بناء مدينة الزهراء هو رغبته في تميزها عن المظاهر عامة لعاصمته المكتظة فهو يريد بذلك إظهار فخامة الملك من وراء هذا البناء، [4] مما يؤكد بأن المباني التي عرفتها قرطبة كانت غاية في الفخامة والعظمة، وإلا لما عمل الناصر على بناء الزهراء بهذه العظمة لتميزها عن باقي مناطق قرطبة.[5]

وقد بالغ المؤرخون والرحالة في وصف قصور الزهراء، من مظاهر الثراء والترف بأوصاف لا يصدقها العقل في كثير من الأحيان، وما كاد عبد الرحمن الناصر ينتهي من بناء قصور الزهراء، حتى تسرع في إقامة الأسواق والحمامات والتنزهات بها، وشجع الناس على السكن فيها ويذكر أنه أمر منادية بنداء في جميع أقطاب الأندلس أن من يبني بها داره وهناك عامل أخر في بناء المنصور للزهراء واتخاذها مقرا له وهو خشية على نفسه من دخول قصر الخليفة هشام بعد أن حجز عليه، واستبد بالأمر من دونه، وكثرت حساده ومنافسه وخصومه.[6]

[1]– المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص 526 568

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 231

[3]– المقري، نفسه، ج1، ص ص 526 527

[4]– محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية، ط4، مطبعة مدني ن القاهرة مصر، 1997م، ص 436

[5]– نادر فروج زيارة، المرجع السابق، ص 131

[6]– حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص ص 245 246

ب . عمارة الزاهرة

اهتم المنصور ابن أبي عامر بناء القصور فأمس مدينة الزاهرة ذات القصور الشامخة مثل منية السرور والعامرية ولكنها لم تعمر طويلا بعد أن طالها السلب والنهب وعمها الخراب وقيلا أن مسروقات هذه القصور قد بيعة في بغداد وغيرها من بلاد الشرقية ولقد بدأ العمل في مدينة الزاهرة في محرم 325هـ/936م، إذ جلب الناصر إليها عبد الله بن يونس كبر البنائين، وحسن القرطبي وعلي بن جعفر الإسكندراني وجاء بالرخام الأبيض من المرية، الرخام المجزع من الرخام الوردي والأخضر بهذه المواد أسس قصره الخلافي، وقيلا أن من كان يعمل في بناء المدينة كل يوم عشرة آلاف رجل وألف وخمسمائة دابة.[1]

وقد أدى إنشاء الزاهرة إلى فقدان الزهراء لمكانتها، فقد أخذ الكثيرون من أهلها في الرحيل عنها إلى الزاهرة، ليكونوا بالقرب من صاحب النفوذ والسلطان وقد اتسع العمران الزاهرة شيئا فشيئا وتزايد فيها البناء وأقيمت فيها المنتزهات والبساتين، والرياض إلى جانب القصور.[2]

وكان من الطبيعي أن يظهر الناصر فلسفته الفكرية التي تقف وراء هذه العمال العمرانية والمادية التي تمثل تحولا عن توجه الإسلامي الذي يقوم على بناء العقيدة والإنسان بدرجة الأولى فقال شعر يرتجمه أراءه:

هَمُّ المُلُوكِ إِذَا أَرَاءِ واذْكُرْهَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَبَأَسَنَّ البُنْيَـاتِ

أَوْ مَا تَرَى الهرَمَيْنِ بِقِيَاوِكُـمْ مَلِكُ مَحْتَهُ حَوَادِثُ الأَزْمَـانِ

إِنَّ البِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ شَأْنُـهُ أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَأْنِ.[3]

ولقد نسي الناصر أن هذه الفلسفة المادية لا تمثل الرؤية الإسلامي بل هي كما ورد في شعره عرض فلسفة الحضارات المادية والفرعونية التي لا تحمل رسالة الاهية توحدية عامة تمثل خطايا لكل البشر، ومشروعا لانقاضهم وتحقيق إنسانيتهم وكرامتهم وعبوديتهم الله وحده وكان من جراء هذه الفلسفة المادية أن القروات التي قام بها الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر لم تسفر عن انتشار الإسلام أو فتح أقاليم

[1]- وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ط4، الأهلة للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ص ص 337 338

[2]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 249

[3]- عبد الحليم عويس، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، قاهرة مصر، 1993م، ص ص 9 10

جديدة ذات شأن بل أسفرت على ازدهار مادي وإقامة مؤسسات عمرانية شهرة سياسية ومجد عسكري وحسب [1].

وقد قامت معارضة كبيرة ضد الناصر تحمل وجهة النظر الإسلامية في هذا التوجه المادي الذي يعلى من أسهم حضارة الحجارة والقهر الإنسان في سبيل مجد شخصي زائل وينفق وقت الأمة وأموالها في هذه الأشكال والرسومات وقد تزعم لمعارضته القاضي المجاهد المنذر بن سعيد البلوطي وكان من أقوال المنذر البلوطي في رد فلسفة الخليفة الناصر هذا الشعر الذي يقول فيه :

يَا بُنَيَّ الزَهْرَاءُ مُسْتَغْرِقًا أَوْقَاتَه فِيهَا أَمَّا تَمَهَل

لله مَا أَحْسَنَهَا رَوْنَقًا لَوْ لَمَا تَكُن زَهْرَتُهَا تَذْبُل. [2]

و في منات الزاهرة وقصورها يقول صاعد البغدادي اللغوي:

أَمَّا ترَى العَيْنَ تَجْوِي فَوْقَ مَرْمَرِهَا زَهْوًا فَتَجْرِي عَلَى أَحْفَافِهَا الطَرْبَ

أَجْرَيْتِهَا فَطْمًا الزَّاهِي بُجْرِبتَهَا كَمَا طَمَوْتِ فَسَدَتْ العَرَبَ والعَجْمَا

تَخَالُ فِيهِ جُنُودُ المِاءِ رَافِلَةً مُسْتَلْئِمَاتَ تَرِيكَ الدِرْعَ والقَلْبَا

تُحْفَهَا مِنْ فُنِونِ الأَيْكِ زَاهَرَة قَدْ أَوْرَقَت فَضَّة إِذ أَوْرَقَت ذَهَبًا

بَدِيعَة المِلك مَا يَنْفَكُّ نَاظِرُهَا يَتْلُو عَلَى السَمْعِ مِنْهَا آية عَجْبًا

لَا يُحْسَنُ الدَّهْرِ أَنّ يَنْشَئ لَهَا مَثَلًا ولَوْ تَعَنَّتْ فِيهَا نَفْسَهُ طَلَبًا.

وإذ كانت قصور والأمراء والخلفاء والوزراء قد كثرت في الأندلس في العصر الأموي، فإن دور الخاصة والكبراء قد زادت أيضا حيث حاولوا التشبه لهذه الطبقة في بناء العمران والزخرفة كلا على قدر إمكانيته.[3]

[1]- عبد الحميد عويس، المرجع السابق، ص 10.

[2]- نفسه، ص 11.

[3]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص ص 252 253 259.

ج . الأسوار والحصون والقلاع

لقد كان اهتمام الأمويون بتصوير المدن واضحا فاجتهدوا في إقامة الأسوار والحصون في كافة المدن وأول هذه المدن هي قرطبة التي تهدمت أجزاء متعددة من أسوارها إيانا الفتوحات الإسلامية وخاصة سورها القبلي والغربي، فأصبحت مدينة مفتوحة حتى تمكن الأمير عبد الرحمان الداخل من ترميم سورها الغربي وبناء سور قرطبة، وما زالت بقايا سور الأمير الداخل قائمة ابتداعا في المستشفى العسكري في قرطبة، وظل سور قرطبة الروماني موضع رعاية الأمراء والخلفاء، حتى بعد أن اتسعت قرطبة، كما كانت أسوار إستبيلية هي الأخر تضررت بعد نمو العمران والتوسع وقد استغل هذا النور مانديون عندما هاجموا اشبيلية غير المسورة جيدا فدخلوها دون أن تعترضهم الأسوار واستباحوها سبعة أيام. فقام الأمير عبد الرحمن الثاني بتحصين اشبيلية فأسس سورها بالحجارة، ثم تهدم هذا السور الثاني بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر. كذلك أسس عبد الرحمن الداخل حصن المدور بالقرب من قريطة والباقية أثاره لحد الآن. كما اهتم عبد الرحمان الناصر بتحصين المدن الساحلية تحسب للخطر الفاطمي فأمس مدينة المرية.[1]

د . المسجد والجامع:

اقترن عصر الفتوحات الإسلامية للبلاد الأجنبية خارج شبه الجزيرة العربية بإنشاء مراكز عمران إسلامية كان الغرض منها أن تكون قواعد عربية ومراكز الجيوش المسلمين الفاتحة من ناحية، ولصبغ البلاد المفتوحة بالصبغة العربية الإسلامية من ناحية أخرى، وقد كانت المساجد هي الأساس الذي اعتمد عليه الفاتحون المسلمون في صبغ المدن المفتوحة بالصبغة الإسلامية، حيث يصبغ المسجد الجامع بمرور الزمن هو مركز المدينة وقلبها النابض.[2] وقد أنفق الناصر في بناء المئذنة وغير ذلك مما قام به في المسجد سبعة أمداد وكيلين ونصف في الدراهم القاسمية كما ذكر ابن عذارى أما أعظم زيادة في مسجد قرطبة قد تمت فيه عهد الخليفة الحكم المستنصر بعد تضاعف عدد سكان قرطبة بحيث لم يعد المسجد يتسع.[3]

[1]- وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص ص 339 340.

[2]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 203.

[3]- نفسه، ص 210.

كما شرع في تزين المسجد بالفسيفساء الذي كان ملك الروم قد بعث إليه مع صانع يتقن ذلك، ومنه تعلم بعض الصانع المسلمين حتى حذقوا ذلك وتفرقوا في الصنعة، ويوجد في أعلى عقد المحارب نقش بالخط الكوفي جاء فيه "بسم الله الرحمن الرحيم"، أمر عبد الله الحكيم أمير المؤمنين، أصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمان رحمه الله، بعمل هذه الفسيفساء في البيت المكرم، فتم جميعها بعون الله سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

كما تعتبر زيادة الحكم أعظم زيادة في جامع قرطبة من حيث البناء والزخرفة حيث جعلته متناسقا متعادل الأجزاء، وأهم ما فيها تلك القباب التي تقوم على هياكل من عقود بارزة متشابكة في أشكال هندسة رائعة وقد كان لهذه القباب أثرها في أوربا حيث أوحت للفنانين الفرنسيين بالقبوات الشهيرة .[1]

ثم كانت الزيادة الأخير في المسجد قرطبة على يد المنصور ابن أبي عامر والتي امتدت طويلا في أول المسجد إلى أخوه، وأصبح المسجد مؤلف من تسع عشر بلاطة، ففقد المسجد تناسقه تعادل أجزاءه وأصبح المحراب متطرفا عن وسط جدار القبة بعد أن كان يقع في محور الجامع، وهدم أبواب من الجهة الشرقية قبل شروع في الزيادة، وفتح في الجدار الشرقي بيت الصلاة القديم ثغرات واسعة تصل بين الزيادة جديدة وبيت الصلاة القديم كما فتح في الجوار الجديد ثمانية أبواب فأصبح عدد الأبواب المؤدية إلى بيت الصلاة ستة عشر بابا ويضاف إليها خمسة أبواب، تفتح على جوانب الصحن فيكون عدد أبواب المسجد واحد وعشرين بابا كانت ملبسة بالنحاس الأصفر ومخرمة تخريما رائعاً ويعكس المسجد الجامع بقرطبة التأثيرات السورية سواء في زخرفته المعمارية أو في نظام عقود المزدوج ونظام سقفي.[2]

[1]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص ص 211 213

[2]- نفسه، ص ص 214 216

المبحث الثاني : ملوك الطوائف

وفي عصر الطوائف استمرت ظاهرة التكالب المادي ومظاهر البذخ على الرغم من الصراعات التي كانت دائرة بين الإمارات الأندلسية وكانت قصور هؤلاء الأثرياء مثوى للفنون والغناء والرقص والموسيقى وما يدخل بابهم من صور الترف. وكان معظم هؤلاء الأثرياء من المعتكفين على الموسيقى والفتيات وهم ينفقون في سبيل ذلك الأموال الطائلة.[1]

1 . مظاهر الترف الاجتماعية

أ. الجواري

تتمثل الجواري أهمية كبرى لدى الطبقات الاجتماعية العليا لذلك فقد وهبنا من الصفات الخاصة لدور أبرز ما في الحياة مجتمع الكبار، ويقصد بالجواري أو الإماء النساء المملوكات اللائي بعنا العبيد وتنقسم إلى قسمين حسب الوظيفة:

النوع الأول: يشمل الجاري اللائي يستخدم في القصور لقضاء الحاجات ويطلق عليهن اسم الجواري الخدمة اللذين تجاوزنا سن الشباب ولا يصلحن للمتعة والتسلية وينصب دورهن في خدمة أسيادهن في القصور.

النوع الثاني: يطلق عليهن اسم الجواري اللذة، وهن يستخدمن للتسلية أسيادهن وجلب المتعة في نفوسهم بمختلف الوسائل ويتمتعن بثقافة ساعدتهن على ممارسة ذلك العمل، ويختلف عددهن حسب ثورة الأشياء.[2]

وتعتبر المرية من أكثر المدن الأندلسية احتواء للجواري على أن الرقيق كان كثيراً والشيء نفسه يقال عن غرناطة في هذه الحقبة من الأندلس، [3]وقد كانت من أكثر الملوك همة في اقتناء القينات وقد اشترى

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 19

[2]- خميسي بولعراس، حياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، مذكرة ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة حاج لخضر، باتنة، 2007م، ص 77

[3]- مريم قاسم طويل، مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادة 484.443هـ/1091م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1994م، ص 79

جارية الطين أبي عبد الله الكناني بثلاثة آلاف دينار لما أحجم عنها الملوك لغلاء ثمنها، كما اشترى كثير من الجواري الحسنات المشهورات بتجليد طلبهن في كل جهة.[1]

وقد بلغ حب اقتناء الجواري عند الطبقة العامة مبلغا كبيرا وصل في بعض الأحيان إلى أن يقوم بعض الأندلسيين بمحاولة الانتحار من أجل جارية، فيروى بن ابن حزم(456هـ/1064م) بأن رجلا أندلسيا باع جارية كان بجدلها وجدناً شديدا لفاقة أصابته ولم يظن أن نفسه تتبعها ذلك التتبع، فلما حصلت عند المشتري كان نفس الأندلسي تخرج، فأراد عن يستخرج جاريته مقابل المال الذي دفعه المشتري غير أن المشتري رفض ذلك، فالتجأ البائع للماك، وشرح حالة فرق له، وأمر بإحضار النشتري الذي أظهر للملك من الرغبة وله بالجارية كما في نفس البائع، فاختار الملك وأمره بدفع مبلغ كبير من المال للمشتري، غير أنه رفض ذلك الأمر، ولم يرى الملك وسيلة سوى ذلك فتعذر للبائع، فلما رأى البائع ذلك جمع يديه إلى رجليه، وألقى نفسه مع علي، فارتاع الملك، وقال له: ما حلمك على هذا؟ فقال له : لا سبيل إلى الحياة بعدها، وهم أن يرمي بنفسه ثانية، فقال الملك للمشتري إن انفعلت كما فعل تكون أشد حبالها، إن لم تفعل فإنك لا تحبها كحبه فامتنع الرجل عن ذلك فحكم الملك بها للبائع.[2]

إن الترف والثراء في الأندلس هو ظاهرة الاستكثار من الجواري، ولاسيما الجواري سوق رائجة تدر كسبا باهظا لأصحابها، فباحترافها كثير من الناس، وكان بعض التجار يشتري الجواري فيدفع بهن إلى من يعلمنهن الغناء والأدب والشعر لكي يرتفع مستواهن المادي والعقلي وقد شجع هؤلاء النخاسين على ذلك بعض الأمراء الذين أصرفوا في اقتناء الجواري وبالغوا في أثمانهن.[3]

وكان شراء الجواري بالأندلس والتسري بهن مخرج لمن لم يكن يريد الزواج في بعض الأحيان، وقد أورد السقطي ما يشير إلى ذلك يقوله :" أتفق لرجل من أهل مدينة ألبيرة حلف على ترك التزويج بالأندلس

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 308

[2]- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، د ط، مكتبة معرفة دمشق سوريا، د ت، ص ص 120 121

[3]- سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، د ط، دار الفكر بيروت لبنان، 2003م، ص 77

يمينا لم يجدلها مخراجا فتوجه إلى قربطة وهي إذ ذاك حضرة الأندلس، دار الملك وقاعدة العلم واشترى بها جارية لم يكن يرى الراءون مثلها بهجة وجمالا.[1]

وقد أسهب المؤرخون في الحديث عن هذا الأمر فقد ذكر ابن حيان أن قربطة حاضرة المسلمين هناك أصبحن مرتعا خصبا لمزاوله تلك الرذائل حيث كان ملوك الطوائف إذا احتاجوا إلى شيء من الملهيات يرسلون رسلهم إلى قرطبة للبحث والتنقيب عن الأوصاف التي يريدونها من الجواري وأنه في شوال سنة 422هـ هو رد على أبي الوليد ابن جهور في قرطبة رسول المظفر بن الأفطس يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنس بهن فوجدوا له صبيتان ملهيتين عن بعض النجار واشترى أهماله .[2]

كما ورد على أبي الوليد بن جهور بقرطبة من الكتب في اليوم واحد كتاب من ابن صمدح صاحب المرية يطلب فيها جارية عوادة، وكتاب من ابن عباد يطلب جارية زامرة.[3]

ب . الرقيق

عرفت الأندلس أيضا كثرة الرقيق وهي تمثل مظاهر الترف إلى جانب انتشار الجواري، إذ لم تخل دار ثري في الأندلس في هذا العصر من الرقيق، ويتوقف ذلك إلى عاملي الثراء والحاجة إليهم.[4]

ولكون الرقيق طبقة مهمة في المجتمع الأندلسي، وكان دورها كبير في تدعيم سلطة الأستقراطية وتمكين نفوذها الاجتماعي فكانوا أدوات بيد المالكين الأرض خصوصا يستخدمونهم لتنفيذ أغراضهم أو قضاء حاجاتهم وأهم هذه الأغراض والحاجات هي استخدامهم كقوة عمل في الإنتاج، خاصة الإنتاج الزراعي الذي يتطلب المشقة والجهد، فكان لكل ثري عدد من الرقيق يتناسب ثراءه من جهة وحاجات أخرى والرقيق بالأندلس يحملون عادة من بلاد بعيدة معظمهم من السود من إفريقيا أو من أواسط أوربا وهم الصقالبة وهم بحكم قانون ملك أسيادهم يفعلون بهم ما يشاؤون وبواسطة هؤلاء الرقيق استطاع كبار

[1]- السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي 7هـ/13م، الحسبة المحتسب، ترجمة ليفي بروفنسال، المعهد المتوسط العربي، باريس، 1931م، ص 54

[2]- ابن عذارى، بيان المغرب، المصدر السابق، ج3، ص 212

[3]- ابن عذارى، نفسه، ج 3، ص 212

[4]- صلاح خالص، اشبيلية القرن الخامس هجري، دراسة أدبية تاريخية نشوء دولة بني عباد في اشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها، 414هـ461هـ، د ط، دار الثقافة بيروت لبنان، 1995م، ص 72

الملك من العرب والبربر، فرض سلطانهم على أناس غالبا ما كانوا غرباء عنهم تماما ويزداد الاعتماد على الرقيق عندما يحس السادة بسلطتهم تضعف.[1]

كان استخدام الرقيق في أعمال يدوية من الصناعة والزراعة كما قاموا بخدمة في القصور، بينما استخدمت النساء والغلمان في العمل في المنازل أو كوسيلة للمتعة واللهو، وحالة الرقيق لم تكن سيئة على العموم لاسيما في القصور الأمراء والملوك إذ كانوا يتمتعون بمستوى حياة جيدة بل قد يصلون إلى مراكز رفيعة.[2]

وقد وجهوا ملوك الطوائف عناية خاصة في اقتناء العبيد ورأوا فيها وسيلة لتوطيد سلطانهم ويعتبر القاضي أبو قاسم بن عباد الاشبيلية أول من استكثرهم نظرا لثرائه الفاحش، [3]

كما زادا الإقبال في بلنسية بحكم موقعها البحري واتصالها بممالك النصارى في اقتناء الرقيق والاستكثار منهم للعمل في فلاحة الأرض، كما استطاع الرقيق أن يكونوا طبقة هامة في المجتمع الأندلسي وارتقى هؤلاء الرقيق إلى مناصب السياسة واستقلوا في الكثير من المدن الأندلسية أثناء السبل الجارفة للفتنة البربرية كالفتيان.[4]

تعتبر أسماء العديد وذكوراً وإناثاً مؤشر قويا على رغبة دمجهم من طرف السادة في المجتمع ومن بين هذه الأسماء الذكور نجد : مسرور، خيران وهذا الحصول العبد على مواطنه والاندماج الاجتماعي، لاعتباره فرد هذا المجتمع واعترافه بالخصوص صفاته ومميزاته.[5]

ج . الموسيقى والغناء :

ولقد بدأ والغناء والموسيقى الأندلسية يتطوران في الأندلس بوصول زرياب إلى قرطبة في بداية عهد عبد الرحمان الأوسط، وإلى زرياب يرجع الفضل في رسوخ هذا الفن في حواضر الأندلس، ويؤكد ابن

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، د ت، ص ص 285 286

[2]-نفسه، ص 286

[3]- خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 68

[4]- نفسه، ص 69

[5]- نفسه، ص 68

خلدون ذلك في قوله : أن زرياب قد أورث بالأندلس من صناعة الغناء، وقد تعددت مراكز الغناء والموسيقى بالأندلس، وكانت مدينة بلنسية في عصر الطوائف من أهم المراكز في الغناء والموسيقى، [1]

كما تعددت في هذا العصر مراكز الفن والغناء بعد تراجع القرطبي حيث أحاط ملوك الطوائف أنفسهم بمشاهير، وكثرة عدد المغنيين والمغنيات في بلاط ملوك الطوائف، واشتهرت اشبيلية وخلاعة واللهو وحب الموسيقى، حتى أنه قيل إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة، وإن مات مطرب بقرطبة وأريد بيع آلة وحملت إلى اشبيلية.[2]

وقد يعتبر عصر الطوائف من أزهى العصور التي شهدت فيه الموسيقى والغناء ثروة حقيقية، فهو بحق عصر الغناء والموسيقى، نظراً للبذخ والترف والثراء التي شهدته البلاطات المختلفة، ومن ثم فإن الغناء ولد في سلطة البلاطات وليس معنى هذا أن العامة لم تهتم به بل بالعكس فقط عرف عن أهلها المرح والإقبال على الملاهي والغناء.[3]

يعتبر عهد المعتمدين عباد من أزهى العهود في الموسيقى والغناء حيث كان ميالا للاستكثار من الجواري والمغنيات، فغلت أثامنهن وندرة أصنافهن بسبب غلائهن الفاحشة.[4]

ومن القرائن الدالة على انتشار الغناء باشبيلية انتشاراً واسعاً وما رواه ابن بسام عن المطرب أبو بكر الاشبيلي في قوله : حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر ابن عمر فلما دارت الكأس، وتمكن الأنس، وعتبت أصواتنا ذهب الطرب ابن عمار كل مذهب فارتجل بخاطب الرشيد :

مَا ضَرَّ أَنَّ قَيلًا إِسْحَاقَ ومَوْصِلَهُ هَا أَنْتَ أَنْتَ وَذِي حِمْصُ وإِسْحَاقُ

أَنْتَ الرَشِيدُ فَدَعْ مَنْ قَدْ سَمَعَتْ بِهِ وإِنَّ تَشَابُه أَخْلَاق وأَعْرَافُ

لله دُرْكَ دَارِكِهَا مُشَعْشِعَة وَأَحْضَرُوا بِسَاقَيْكَ مَا قَامَتْ بِنَا سَاق[5].

[1]- كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 247

[2]- خميسي بولعراس، نفس المرجع، ص 194

[3]- كمال السيد مصطفى، نفس المرجع، ص 247

[4]- خميسي بولعراس، نفس المرجع، ص 194

[5]- المقري، نفح الطيب، ج4، المصدر السابق، ص ص 271 272

وما يمكن أن نقوله هو أن فن الموسيقى والغناء جسد في الأندلس ثقافة الترويح عن النفس فانتقل الأندلسي من منطقة الغناء إلى الفلسفة، كما بين هذا الفن مدى تأثير البيئة الأندلسية في صنع الموسيقى وموضوعات الغناء فكانت إذ مجالس وقصور ملوك الطوائف مدارس تعزف فيها كل الألحان والغناء والموسيقى.[1]

د . الطعام

وقد تفنن أهل الأندلس في صنع الكثير من ألوان الطعام المختلفة وصارت حافلة بأنواع متعددة من أطعمة والحلوى وأضيفت الفاكهة والأشربة كما هو الحال في غرناطة التي كانت حافلة بشتى أنواع الفواكه والخضروات والكروم وأيضا أصناف الأسماك والمنتشرة في أسواق الأندلس.[2]

وكما انتشر في عصر ملوك الطوائف من بين أطيب الأطعمة والفواكه بشتى أنواعها والحلوى، وكذلك دليل واضح على توفر مظاهر الترف في الطعام الأندلسي، حيث يذكر القاضي أبو الوليد أنه حضر يومنا مجلس ابن ذي النون فقد نوع من الحلوى ويعرف بأذان القاضي فتهافتت من خواصه عليها يقصدون التنديد فيه، وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيها قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى العيون البقر. فقال له المأمون : يا قاضي أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال : وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق، وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب .[3] وهذا قد شاع الترف بين الطبقة الأستقراطية في المأكل التي امتازت بها قصور ملوك الطوائف ولكن هذا الإسراف في الطعام لم يكن موجوداً في مطابخ العامة من الناس.[4]

[1]- خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 195
[2]- نفسه، ص ص 97 98
[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص 138
[4]- نفسه، ص 289

وقد تنوعت الأطعمة بحسب البيئات والمستوى المادي للأفراد، أما بالنسبة للأمراء وخاصة فإنها تأثرت بتطور أحوال الدولة والبديهي أن تختلف أطعمة حسب الشرائح الاجتماعية والمناطق، ومن ثم فلا عجب عن نجد أطعمة خاصة بالطبقة الأستقراطية التي ارتبطت بالثراء والمركز السياسي والنفوذ الاجتماعي.[1]

هـ . الملابس

إن الأزياء تعد شكلا ثقافيا يسجد رؤية الجماعة والفرد لمجموعة من القيم والمعايير الاجتماعية، ومن ثمة فإن وظيفة اللباس تمكن في إبراز اختلافات والامتيازات الاجتماعية والمهنية كما يعتبر عن درجة التحضر، وقد ارتبط الأزياء بصناعة النسيج في الأندلس.[2]

وذلك بين المستوى الذي بلغته الحضارة المادية حيث نجد أن قيمة الترف في اللباس قد ظهر زمن ملوك الطوائف وهذا راجع لما اشتهرت به مدن الأندلس حين ذاك من صناعة أفخر أنواع الملابس فبطلموس اشتهر بصناعة نوع من الوبر يجمع بين لين الخز وبريق الذهب يتساقط من حيوانات بحرية تعرف بأبي قلمون بكثرة وجودها على سواحل شنترين .[3]

إن المجتمع الأندلسي بطبعه يميل إلى ارتداء الأنواع الفاخرة منها خصوصا المصنوعة من الصوف الجيد في فصل الشتاء وأما في فصل الصيف فتنوع أقماشها من حريق وقطن وكتان، كما عرفوا ببعض الثياب الفاخرة باهظة الثمن، وإذا ما قارن المجتمع الأندلسي خلال القرن الخامس والحادي عشر هجري بمجتمعات الفترات السابقة فإن المجتمع الأليري والقرطبي والغرناطي قد بلغوا الصادرة في فن الأزياء واللباس نتيجة التحفيزات المادية وإقبال العائلات الثرية والطبقات الأستقراطية على إدخال مزيد من تلك الفنون وولعها بمختلف الأزياء الأكثر رواجا في تلك الوقت.[4]

---

[1]- خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 96

[2]-نفسه / ص ص 90 91

[3]- سحر عبد العزيز سالم، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحوث ندوة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1994م، ص ص 250 251

[4]- مزاعي سمير، السلطة والمجتمع في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م، رسالة الدكتورة في تاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الاثار، 2018م، ص 257

ر. الاحتفالات والمواسم:

بما أن قرطبة أحد مدن الأندلس عرفت مظاهر كثيرة من الترف والبهجة كانت بمثابة السمة الغالبة عليها، والترف الذي كان يحصل عند الأمراء والخلفاء والسفراء كان مثله أو أكثره في الأعياد والاحتفالات.[1]

وقد تعددت سفرات الدولة المسيحية إلى قرطبة خاصة في عهد الناصر والحكيم، ولعل أكثر السفرات أشهرت في عهد الناصر هي سفارة إمبراطور بيزنطة التي استقبلها الخليفة في المجلس الزاهر بقصر الخليفة بقرطبة، [2]وقد نقل المقري عن ابن حيان وصف حفل استقبال هذه السفارة ومرافقها من إنفاق بالغ فروي أن الخليفة فقد للسفراء قعوداً حسناً، وقعد يمينه ولي العهد من بنية الحكم، وأربعة غيره من أولاده، وقعد عن يساره ثلاثة آخرون من أولاده وحضر الوزراء والموالي والوكلاء .[3]

وكانت احتفالات الحكام بالزواج غاية الترف، فقد كان عرس ابن أبي عامر (392هـ/1002م) أظم عرس قام في بلاد الأندلس حين تزوج من أسماء بنت غالب صاحب مدينة سالم.[4]

احتفل المسلمون في الأندلس بالعديد من الأعياد والمناسبات الدينية ولعل عيد الفطر يمثل مظهرا حقيقي لذلك حيث يبدأ في غرة شوال القاضي وكبار والفقهاء للاستطلاع وإعلان انتهاء شهر الصوم.[5]

فمن المناسبات الدينية التي احتفل بها الأندلسيون هي حلول شهر رمضان عيد الفطر وعيد الأضحى، وكان يحتفلون بحلولهم ففي شهر رمضان العظيم كانوا يحتفلون بحلوله بأن يخرج القضاة والفقهاء وأئمة المساجد لاستطلاع على رمضان كما يزخر هذا الشهر بمجالس الذكر والعلم والإكثار بالقرآن في المساجد وكانوا في ليلة السابع والعشرون يقوم باختتام القرآن الكريم وعند قدوم عيد الفطر، كانوا يحضرون أشهى

[1]- أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1983م، ص 261

[2]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص 262

[3]- المقري، ج1، المصدر السابق، ص ص 366 367

[4]- نفسه، ج1، ص 400

[5]- خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 83

الحلويات، وكانوا في يوم العيد يستيقظ الناس في الصباح الباكر فيتجهون إلى المصلى لإقامة صلاة العيد، وبعد الانتهاء من الصلاة يخرج الناس إلى الشوارع والأماكن العامة مرتدين أفخر الملابس.[1]

أما عيد الأضحى الذي يأتي في العاشر من ذي الحجة فقد كان فرصة للاحتفال والتفاخر بالأطعمة والزينة حسب التفاوت في مستوى المعيشية. وكانت كل أسرة سواء فقيرة أم غنية تحرص على تقديم الأضحية، [2]

ولا شك أن الحفلات عند الطبقة الخاصة تختلف عن حفلات الطبقات الأخرى فقد تأنق أفراد الطبق الخاصة في احتفالاتهم وأنفقوا ببذخ كما كان يتم إغداق الأموال، والأعطيات على الشعراء والأدباء لإلقائهم القصائد الشعرية الملائمة، وتفتح أحيانا أبواب القصور للعامة حيث تمد لهم الطعام.[3]

2. مظاهر عمران

يعتبر عصر الطوائف من أزهى العصور بعد عصر الخلافة التي ازدهر فيها العمران، حيث بلغ فيه الفنون الغاية في التفنن الزخرفي والإسراف الجنة في مزج المنظر الطبيعي بالبناء وأحداث تأثير جمالي.[4]

وقد كان للثراء الفاحش في عصر الطوائف دور كبير في إحداث التنافس العمراني فيما بينهم فحلفت بلاطاتهم بعبقرية فنية نادرة، وتهافتوا على جلب أبهر المهندسين المعماريين، ففي قصر الجعفرية، بسرقسطة الذي يعتبر من بين القصورالتي جسدت الفن الأندلسي، حيث تميزت بسور مستطيل الشكل وأبراج مستقيمة ترد الهجومات عنه أما داخله فنجد غرفا مرتبة حول الصحن وقد خضل المهندسون الأقواس المتشابكة، حيث صار كل قوس وكأنه نموذج من الخط العربي.[5]

وقد استمرت ظاهرة التكالب المادي ومظاهر البذخ، على الرغم من الصراعات التي كانت دائرة بين الإمارات الأندلسية وكانت الطبقة الحاكمة في الجملة ومن يلوذ بها فضلا من بقية أعضاء الطبقة

[1]- خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 84

[2]- نفسه، ص 85

[3]- عبد العزيز جاج كولة، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال فقه النوازل في القرنين 6.5هـ/12.11م، مذكرة شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، جامعة الجزائر، 2009م، ص 80

[4]- لسيد عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة علي الفكر، المجلد9، أبريل 1977م، ص 99

[5]- خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص ص 196 197

الأستقراطية تتفنن في بناء القصور وإبداع الألوان الزخارف فيها وكانت القصور هؤلاء الأثرياء مثوى الفنون والغناء والرقص والموسيقى وما يدخل بابهما من صور ترف.[1]

ولقد وقع نوع التنافس على المظاهر بقية إظهار القوة والعظمة بين ملوك الطوائف في المدن الأندلسية المختلفة وكانت كل منها تحاول أن تكون الأعظم والأرقى في مظاهر الحياة المادية ففي اشبيلية كان للأستقراطية الاشبيلية ولاسيما الأسرة الحاكمة النصيب الأوفر من هذا الرخاء الاقتصادي .[2]

كما توفرت لأندلسيون معطيات أهلها لتأسيس عمران في حجم ثقافتها ذلك أن تحتوي هذه الأرض من مواد أساسية كالحجارة التي توجد بأنواع كثير كحجر البجادي الذي ينتشر بكثرة في أشبونة وحجر يشبه الياقوت الأحمر يوجد ببجانة، وحجر المغناطيس الجاذب للحديد أو الحجر الطلق.[3]

كما اشتهرت الأندلس بالرخام الذي ينتشر في سرقسطة وخاصة منه، وتميزت جدران القصر بزخرفة هندسية وبنقوش كتابية، أما المصلى فهو مربع الشكل، وقد تأثرت سرقسطة في ذلك بالأساليب العراقية في تشييد العناصر المعمارية، من كل كتلة واحدة بحيث كانت تتخذ مجرد صورة زخرفية رغم حقيقتها المعمارية ونظام بنائها.[4]

أما قصر طليطلة الذي أقامه المأمون بن ذي النون سنة (455هـ/ 1063م) فقد تميز بتقنية عالية، حيث صنعت أموالا طائلة، وبرع المهندسون في بنائه وزخرفته وهندسة حيث صنعت في وسط القصر بحيرة وفي وسطها قبة من الزجاج ملونة ومنقوشة بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بهندسة عجيبة فكان الماء ينزل من إعلامها على جوانبها محيطا بها، ويتصل ببعضه البعض وكانت قبة الزجاجية في غلاله يسكب خلف الزجاج ماء يفتر عن الجريان والمأمون جالس فيها ولا يمسه الماء، وقد أوقدت له فيها الشموع.[5]

أما بنو صمادح أصحاب المرية، فإن قصورهم ملفتة للنظر خاصة فيما يتعلق بتلك الزخرفة الهندسية التي تميزت بها مجالسهم، كالرفوف المزوقة المنقوشة المفروشة بالرخام الأبيض فقد شيد المعتصم بن صمادح

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 19
[2]- نفسه، ص 19
[3]- خميسي بولعراس، نفس المرجع، ص 196
[4]- نفسه، ص 197
[5]- نفسه، ص 197

قصورا محكمة البناء غريبة الزخرفة والتنمقات، غرس في البستان أنواعا مختلفة من الأشجار المعروفة كما بنا في وسط هذا البستان بحيرة عظيمة، وقد عرف هذا البستان بالصماء حية.[1]

أما العمارة في بلنسية فقد تميزت دورها من الداخل بزخرفة جدرانها بالزخارف والتنميقات وكانت الشرفات ذات اللون الأبيض، كما كانت المنشآت المدينة وعلى رأسها الحمامات تبنى بالقرب من المساجد حتى يتسنى التطهير والدخول إلى المسجد.[2]

إن دور بلنسية كواحدة من مدن ملوك الطوائف قد بلغت درجة عالية من الفخامة ووأبهة في عصر تنافس فيه ذو والثراء على إبراز حجم ثروتهم وفخامتهم وكذا إظهار ترفهم فابتنوا دوراً تضاهى في اتساعها، وتعدد مرافقها وما تحويه من فاخر الأمتعة والرياش قصور الأمراء.[3]

ولعل شعر المقتدر بن هود فيه بين ذلك :

قَصْرُ السُرُورُ ومَجْلَسِ الذَهَبْ بِكُما بَلَغَتْ نَهَايَة الأَرَبْ

لَوْ لَمْ يَحِزْ مِلْكِي خِلَافَكُمَا كَانَتْ لَدَى كَغَايَة الطَلَبْ.[4]

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص 366

[2]- السيد كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص ص 213 215

[3]-نفسه، ص 212

[4]- المقري، المصدر السابق/ ج1، ص 422

المبحث الثالث: مظاهر الترف والبذخ في دولة المرابطين

يعود أصل المرابطين إلى صنهاجة أي جنوب الضاربة بالصحراء، وقد أرغمت الظروف قبائلها، لمتونة، وجدلة، ومسوفة على التحالف بينهما وكانت لمتونة تتولى سائر هذه القبائل وقد يرى الباحث بأن أصل المرابطين يعود إلى قبائل لمتونة التي سكنت بلاد القبلة واتخذوا اللثام ميزة لهم حتى سميوا بالملثمين فكل قبائلهم تلتزم بالنقاب وهو اللثام حتى لا يبدو منهم إلا محاجر أعيتهم.[1]

1. مظاهرا لبذخ الاجتماعية

أ . الأطعمة

إن الأطعمة تنوعت حسب البيئات والمستوى المادي للأفراد بالنسبة للأمراء والخاصة فإنها تأثرت بتطور أحوال الدولة ففي بداية التأسيس حيث كانت روح البداوة والشظف الحياة وأهم السمات التي طبعت دولة المرابطين ولكن بمجرد ما ضمت دولة المرابطية الأندلس وصلت إلى مرحلة الترف وكثرة الإقبال والتفنن والتنافس على شتى أنواع الأطعمة وتختلف الأطعمة حسب الشرائح الاجتماعية وحسب المناطق والبيئات.[2]

أما في البوادي والقرى الأندلسية أكثرهم كرماء بينما اشتهر بعضهم بالبخل والحرص الشديد، وكانوا يقدمون لضيوفهم الدجاج والبيض والشراب، والإسفنج بالعسل، والرغائف الساخنة، واللبن الرائب.[3]

وتخصصت لمتونة في الطعام عرف بالاسم أسلو باللهجة البربرية ويصنع عن طريق قلي الحنطة قليا معتدلا، ودقها حتى تصير جريشا ثم تمزج بالعسل والسمن ويخلط جميع ذلك على النار، وتوضع في المزاود فتصبح طعاما شهيا، وفي الفت نفسه اشتهرت مكناسة بالطبخ السمك الشوولي الذين تصنع منه الألوان بأصناف البقل مع أن ابن رشد اعتبر السمك مبدأ للذكاء وانفرد أهالي فاس بصناعة طعام يدعى ترفاست،

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص 7 8

[2]- نفسه، ص 69 70

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 301

وكان معظم المأكولات تهيأ داخل بيوت كالكسكس الذي يخلط بالسمن والقديد والبصل ولعل وجود هذه الأكلة منذ العصر المرابطي.[1]

ومن أصناف الأطعمة الشائعة في العصر المرابطين، كذلك العصيدة وهريسة المصنوعة من القمح أو الأرز أو فتات الخبز أو الشحم أحيانا ثم رغائف الدرمك والدشيشة والمقراس وهو غذاء سريع الهضم طيب وشهي يصنع من لحم الفخذ ثم الأحرش الذي يصنع من لحم مدقوق من أبراز الثوم وسمي أيضا الإسفيريا وهو على أشكال مختلفة ويذكر السقطي نوع آخر من الأطعمة تحت اسم البلاجة التي تصنع من بقايا الأكباد أو اللحم الغنمي. كما يذكر المقري شكل آخر عرف عند الأندلسيين باسم التفايا التي تحضر بلحم الضأن الفتي السمين. ومن ألوان الأطعمة الأخرى التي راجت في العصر المرابطي ما عرف بالمثلث الذي كان يصنع باللحم والزعفران والخل والبقل والباذنجان والقرع والجزر أو رؤوس الحسن دون ورقه، كما وجدت بعض الأكلات المتواضعة التي انتقد العامة تقديمها للضيوف مثل بركوكس والفجالة والقنبيط.[2]

وهناك أطعمة خاصة بالنساء كالفدوش يتناوله لزيادة الوزن ونوع من الفراخ لكبار السن، وعند الانتهاء من الطبخ كان لابد من تزيين الأطباق بإضافة القرفة والنعنع.[3]

أما بالنسبة للحلويات كما نجد في كتب الطبخ حلوى أخرى تعمل من التمر أو العسل أو السكر، فينفي عليها تلك الحلوة، وهي كثيرة ومتنوعة بينما يدعى باسم حلوة الشامية أو باسم الكعك المحشو بالسكر أو الكعك من السكر أو المنسوبة إلى الفواكه والمكسرات الداخلية فيما أو غير ذلك من الإسفنج والفالوثج والقنبيط المحشوة وهناك أنواع أخرى خاصة بالطبقة دون أخرى كالسنبوسك[4].ومن اشهر الحلويات بالأندلس ما يسمى المجبنة يتم إعدادها من جبن ودقيق ويشير المقري إلى مجبنة طليطلة بقوله المحروم من يدخل هذه المدينة ولم يذقها.[5]

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، نفس المرجع، ص ص 70 71

[2]- نفسه، ص ص 72 73

[3]- نفسه، ص 127

[4]- مريامة لعناني، الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين، مذكرة شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، جامعة قسنطينة، د ت، ص 128

[5]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 184

2. الملابس

اللباس هو من عادات أفراد المجتمع المرابطي حيث كان لهم لباس خاص يميزهم وتميز بالبساطة في الصحراء وشهد نوع من التغير خاصة بعد ضم الأندلس. المرابطون لم يكتفوا بالأخذ من تجارب وفنون وثقافات من الذين سبقوهم بل أخذوا عنهم طريقة اللباس فقد قلد المرابطون العباسيين في اتخاذ السواد في لباسهم، الذي كان يمثل اللثام، كذلك كانوا يرتدون الغفائر القرمزية والعمائم ذات الذؤابات وكانوا يحملون إلى ذلك، السيوف المحلاة، ولازال الطوارق حتى آن اللون القرمزي في اللثم كما يستعملون الريط وهو لثام أخضر اللون. وعلى الرغم من تقليدهم لمن سبقهم في طريقة لبسهم إلا أنهم اختلفوا فيما بين الفئات المجتمع حيث نجد الطبقة الحاكمة يستعملون اللثام الأخضر بينما طبقة الدنيا يتلثمون باللون الأبيض. أما عند عامة الناس كان لباسهم مختلفا تماما إذ يختلف عن اللباس التقليدي مثلا كانوا يرتدون الشواشي والأكسية والجبة والعمائم والبرانس [1].

أما العامة فأكثر لباسهم تشكل من الصوف والبرانس الكحل والمغاربة أقل اهتماما بمظهرهم من الأندلسيون.[2]

انتشر استخدام الملابس الصوفية بين السكان في عهد المرابطين وأكثر الناس يلبسون الأكسية والعمائم على رؤوسهم وهذا لوفرة الأغنام بتلك الفترة ومن صوفها تؤخذ الملابس، فملابس لمتونة ولمطة كانت أكسية الصوف وعلى رؤوسهم عمائم الصوف المسماة بالكرازي، وقد ظل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لم يلبس قط غيره.[3]

. لباس الفقهاء :

العلماء الذين كانوا في الأندلس أقبلوا على حياة الترف والبذخ فكان لباسهم من البرانس ذات اللون الأبيض خصصت للفقهاء، إضافة إلى لباس الغفائر بالأندلس الذي يختص بطبقة المثقفين والمتعلمين فكانت هذه الغفائر مصنوعة من الصوف وصبغوها باللون الأحمر والأخضر. بينما ظل اللون الأصفر

[1]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين، دار الرشاد الحديثة، ج1، 1420هـ 2000م، ص 218

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 83

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 437

خاصا باليهود، وإن كانت النصوص تذكر أن ابن قزمان لبس غفارة صفراء، ولكنه لم يسلم من الانتقاد والتعبير أتقن الأندلسيون ترتيب الأزياء واختيار الألوان فالثوب الأزرق تناسبه الغفارة الخضراء.[1]

وارتدى علماء الأندلس الطيلسان فيذكر المقري :أن الطيلسان زي يختلف فيه بين العلماء والفئات الأخرى في طريقة وضعه حيث يذكر لا تجد الخواص الأندلس وعوامهم يمشي دون طيلسان ألا أنه يضعه على رأسه منهم غير عظماء الشيوخ "فالطيلسان لا يضعه إلا كبار الفقهاء على رؤوسهم أما العوام فيضعونه في أكتافهم مطويا طفيفاً".[2]

. لباس العلماء :

فقد اعتادوا على لبس الغفارات وعمامات وجعلوا فوق رؤوسهم قلنسوة*، أو كرزية، وهي عبارة عن عمامة نسيج مستطيل الشكل مصنوع من الصوف.[3]

غير أن التقشف في الملبس سرعان ما تغير منذ ما تولى "علي بن يوسف" إمارة المرابطين إذ مثل هذا الأخير مرحلة الحضارة والترف فأصبح التألق في اللباس عادة مألوفة لدى الأمراء، وبالأندلس كان لباس الحرير وخصصت للقضاة العمائم الخضراء وصغروا حجم العمائم لأن العامة كانوا يستهزئون منها.[4]

. اللباس عند النساء :

ولقد ترك زرياب مغني بصماته على الملابس وشتى الفنون الحياة الأندلسية، فملابس الربيع كانت ملونة من الخز، وملابس الخريف قريبة الشبه بالربيع إلا أنها مبطنة، والصيف في الغالب بيضاء خفيفة من الكتان والحرير والقطن، بينما مقاطع الشتاء داكنة من الصوف وإذا اشتد البرد لبسوا الفراء. ولقد اشتهر الأندلس في عصر المرابطين بصناعة أنواع عديدة من المنسوجات، منها النسيج الفاخر المطرز والموشى

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص 81 82

[2]- مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 98

*قلنسوة: هي التي تلبس في الرأس، أنظر إلى معجم البلدان، مجلد4، المصدر السابق، ص 392

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، نفس المرجع، ص 83

[4]- مريامة لعناني، نفس المرجع، ص 100

بخيوط الذهب، والذي يحمل أسماء عديدة، اشتهرت عدة مدن منها ألمرية ومالقة ومرسية وغرناطة وفنيانة ودلاية بهذه الصناعات من النسيج، حتى المنسوجات التي اشتهرت في الشرق مثل الأصبهاني.[1]

ونظرا لكون المرأة المرابطية قد تمتعت بحرية المظهر، فإنها قد لبست الرقيق من الثياب مما يشق عن جسمها وقد أثار ذلك حفيظة ابن تومرت اعتبرها المقصودة في حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم "ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات" كما نجد في العصر المرابطي نجد أنواع من أثواب الحرير وأثواب الديباج، وثياب الزردخان.[2]

ما نجم عنه من ظهور في حياة الترف والبذخ على الفئة من الطبقة الخاصة، قد شمل أيضا المرأة المرابطية عادة ما تخرج سافرة الوجه لأنها كانت تتمتع بالحرية المطلقة فيما يخص مظهرها، وكان لباس النساء عموما من الصوف وهو كذلك لا يختلف كثيرا عن لباس الرجال فقد لبسنا الأكسية والملحفة والإزار والجبة والخمار من الصوف، وسروال التي لم يكن لباسها شائعاً في صفوف النساء.[3]

وقد ظهر من قول المهدي في غطاء وتصريحه شعر المرابطية، والتي شبهها " بسنم الجمل" أنسمة البخت المائلة وهذا غطاء عبارة عن قطعة من النسيج الرقيق طوله نحو ذراع تعصب المرأة به، ويزخرف بالذهب واللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة، وكانت المرأة المرابطية تفضل الألوان الزاهية.[4]

. لباس المتصوفة :

اتصفت فئة المتصوفة في عصر المرابطين بالورع وترك الطمع والزهد في الدنيا، والقناعة باليسير، وهذا ما أخذ بصاحب "التشوف " إلى وصفهم بقوله: "مقتوا الدنيا فيما مالوا إلى ملاعبها .... واستطالوا مدة المقام بها "، كان لباسهم ما ستر وطعامهم ما حضر وجاء حرصهم على التقشف مظهر من مظاهر التقوى وحسن السيرة.[5] زي المساكن محلوق الرأس، ولبس الأخلاق والتحرر من ثياب الرفاهية والتذلل الله عزوجل

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 317 318

[2]- عيسى بن ذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية، رسالة الدكتورة في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009م، ص ص 248 249

[3]- نفسه، ص ص 249 252

[4]- عصمت دندش، نفس المرجع، ص 320

[5]- عيسى ذيب، نفس المرجع، ص 237

وإظهار العوبدية، وبلغت ودرجة عزوف بعضهم عن الملابس ومنهم من تصدق بثيابه وبقي عريان، ومن بين لباس المتصوفين أكثرهم لبس جبة الصوف كما كانوا يلبسون عباءة من الصوف، وذلك لبساطتها وخشوتها.[1]

كانوا يرتدون الخرقة وتعتبر الخرقة لباس المتصوفة وهي تشير إليه الثوب أو الرداء الغليظ الذي يلبسه الفقراء لاسيما المتصوفة منهم وهي نوعان خرقة العهد وخرقة التبرك، فخرقة التبرك تلبس وتعطى لكل من يطلبها، أما خرقة العهد فلا يلبسها إلا من دخل في طريق، بالنسبة للباس القدمين فقد انتعل البعض منهم النعل.[2]

ج . الموسيقى والغناء

ومن أساليب الترويح عن النفس والتسلية أيضا، الموسيقى والغناء، مع أن الفقهاء المرابطون كانوا يكرهون سماع الأغاني، وكتبوا في ذمه على اعتبار إن المتبع لسبيله يؤدي به إلى الانحراف والفساد، إلا أن معظم الناس من الخاصة والعامة ومنهم من بعض العلماء والفقهاء كانوا يميلون رغم ذلك إلى سماع الأغاني كلون من ألوان التسلية [3]، وشغل أوقات الفراغ، وتعد الأندلس مجالا خصبا للمغنيين والمغنيات فكانت قصصهم أكثر من أن تحصى، وقد اشتهرت اشبيليا باحتضان الغناء الأندلسي خاصة، وتعد شهادة المقر مثلا صادقا على ذلك حيث يقول "وإذ مات مطرب في قرطبة فأريد بيع آلاتي حملت إلى أشبيليا "[4]، كانت طرق التسلية لديهم الإقبال على الرقص وسماع الموسيقى والطرب رغم فرض عليهم يوسف بن تاشفين من تعاليم إلى أن ذلك لم يمنعهم من تأثرهم بالحضارة الأندلسية بمختلف مظاهرها وظهر ذلك جليا في عهد علي بن يوسف [5]، لقد كان الخاصة والعامة يقبلون على مجالس الغناء واللهو لدرجة أن حريتهم اقتربت من الفوضى في بعض الأحيان، قد غيروا هذا المنكر وأمروا بالمعروف [6].

[1]- عيسى ذيب، المرجع السابق، ص 238
[2]- نفسه، ص 239
[3]- نفسه، ص191
[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص155
[5]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص340
[6]- البيذق، المرجع السابق، ص22

د الاحتفالات :

تميزت العادات الاجتماعية بالأندلس خلال الحقبة المرابطية فكان أهل الأندلس محسنين للهو والترف ومحبون للاحتفال بالأعياد الدينية : رمضان، ليلة السابع والعشرين، عيد الفطر وعاشوراء، وأخرى أسرية .

. الاحتفالات الدينية :

كان المرابطون يحتفلون بصلاة الجمعة وشهر رمضان وكان له معنى خاص إذ تبدأ الاحتفالات به منذ رؤية الهلال فيتم إبقاء النار بتلك الليلة ويظهروها من قرية إلى أخرى لإثبات رؤيته، وكان المرابطون يحتفلون بهذا الشهر كغيرهم من دول العالم الإسلامي، فيقومون بقراءة القرآن والأدعية وعقد حلقات دينية في المساجد وأيضا تقام صلاة التراويح على مدار الشهر الفضيل، كما تحضى ليلة السابع والعشرون من الشهر بالتعظيم والتكريم[1]، وبعد نهاية شهر رمضان اعتاد الناس على الاحتفال برؤية هلال شهر شوال حيث كانت تقرع الطبول لاحتفال بليلة العيد، وترفع الراية فوق سمعة الجامع، ويكون الابتهاج وتقديم التهاني، وفي صبيحة العيد تخرج الزكاة وتلبس الرعية الثياب الجديدة وتبادل الزيارات بين الأقارب والأصدقاء، وتقديم التحيات والتهاني مباشرة بعد صلاة العيد، وزيارة القبور [2]، أما عيد الأضحى فالنصوص ضافية حول كيفية الاحتفال به في العصر المرابطي، فكانوا يشترون الأضحية وعند خروجهم من صلاة العيد وكما جرت العادة أن يتم ذبح الناس أضاحيهم بعد ذبح إمام المسجد وكان البعض منهم يقومون بتبادل لحم الأضحية مع الأقارب والجيران [3] .

. الاحتفالات الأسرية:

ومن بين الاحتفالات التي يحتفل بها المرابطين احتفال الخطبة والزواج، فبعد اختيار العروس المناسبة يتم تحديد يوم الخطبة وعند إتمام الخطبة فأهل العروسين يتفقون على الصداق والهدايا وإن تم الاتفاق بين الأسرتين على تحديد وقت الزفاف يستعد آل العروس وكان الاحتفال بالأعراس ينفق عيه ببذخ ومجالا

[1]- عيسى ذيب، المرجع السابق، ص182

[2]- عبد القادر بوتشيش، المرجع السابق، ص79.88

[3]- نفسه، ص ص 91.90

للمباهاة، فكان يحيي هذه الاحتفالات العازفون على آلات الطرب المختلفة من عود ودف وغيره[1]، وكانت الراقصات يرقصن في العرس حاسرات ارأس كاشفات عن شعورهن، فالعروس تبدو في غاية الزنة والجمال، وعلى رأسها تاج وكانوا يقومون بألعاب ليدخلوا السرور على المدعوين وقد تخلل هذه الاحتفالات كثير من اللهو وشراب الخمر في بعض الأعراس وكان يختلط الرجال مع النساء.[2]و من المناسبات الأسرية التي يحتفل بها المرابطون وإذا رزقوا بمولود جديد قاموا باحتفال بهيجاً وكانوا في اليوم السابع أو الرابع عشر يقومون بالعقيقة، فيتم ذبح الكبش أو أكثر وهذا حسب الإمكانيات كل أسرة، كما يحتفلون بختان الصبيان ولعل ما تنفرد به الأسرة المرابطية دون سواها أنها لا تعتبر الفرد المكتمل الرجولة إلا إذا ارتدا لثامه، لذلك تحتفل الأسرة عند بلوغ الأولاد سن الرشد بارتداء اللثام فيقومون بذلك احتفالا كبيراً باستكمال الفرد لحقوقه المدنية واعتباره عضو عاملاً في المجتمع الملثم.[3]

نستنتج مما سبق بأن الأندلس عاشت مظاهر الترف والبذخ والثراء الذي كان من بين السمات الغالبة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال عهدي عبد الرحمان الناصر والمنصور ابن أبي عامر، وأيضا في ملوك الطوائف وقد أدى هذا التكالب المادي إلى انعكاسات اجتماعية ودينية وخلقية على المجتمع الأندلسي .

[1]- عصمت دندش، المرجع السابق، ص ص 331.330

[2]- نفسه، ص331

[3]- عيسى ذيب، المرجع السابق، ص 186

خاتمة

خاتمة:

توصنا في نهاية بحثنا هذا إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

- الترف والبذخ هو التعدي عن النعم ومجاوزة الحد في النعمة المباح من الطعام والشراب والمسكن.
- المترف هو من أبطرته النعمة وسعة العيش وألهته عن طاعة الله فتراه حريصا على زيادة أحواله وعوائده ساع إلى بلوغ الغاية في ملذات الدنيا لإشباع حاجياته.
- جاء في القرآن والسنة بذم الترف وتحذير منه لا تعني تحريم ما أحلى الله من نعم وطيبات.

شهدت المدن المغربية حياة البذخ والترف أدى بهم إلى التوسع الكبير والازدهار والتطور من حيث مظاهر الترف الاجتماعية والعمرانية، وفي عصر المرابطين بنو حياتهم على التقشف خاصة في عهد يوسف بن تاشفين لكن عند وفاته وصل ابنه إلى سدة الحكم فأدخل حياة الترف والفخامة إلى بلاط المرابطين فبنا بها القصور التي زخرفت بها المدن المغربية، وهي نفس الظاهرة التي صار عليها الموحدون من حيث تقشفهم في أول الأمر.

قد أسهم الصنهاجين في تغير ملامح الحياة القبلية التي كانت تعيشها وشهدت قفزة نوعية نحو حياة التحضر فاستقرت أحوالها، وكثرة أموالها واتساع عمرانها، وبدأت مظاهر التنعم على حياتهم في بناء القصور والمنازل الفخمة والحمامات، وكانوا يرتدون الخلفاء الملابس الفاخرة .

ظهور بوادر حياة الترف والبذخ مع بداية الدولة العامرية على عهد الخلافة حيث تم الإكثار من الجواري والرقيق، مما استدعت الضرورة إلى توسع مظاهر الاجتماعية والعمرانية، بالتالي شهد الأندلسيون تنوع في المأكولات والملابس الفاخرة، وانتشار شرب الخمر وسماع الغناء والموسيقى .

عرف الأندلسيون في عصر ملوك الطوائف حياة من الترف والثراء أدى بهم إلى الاستكثار من الجواري والرقيق واتخذوهم في خدمة القصور لإشباع ملذاتهم وشهواتهم .

تعددت مراكز الغناء والموسيقى بالأندلس، وكانت مدينة بلسنة في عصر الطوائف من أهم المراكز في ذلك، واشتهروا بتنوع الأطعمة والفواكه والحلوى وهذا دليل واضح على أنهم عاشوا مظاهر الترف في الطعام.

إن المجتمع الأندلسي بطبعه يميل إلى ارتداء الأنواع الفاخرة من الملابس باهظة الثمن

إن المجتمع المرابطي سادته مجموعة من المظاهر الاجتماعية، ونظرا للتمايز الطبقي الواضح في المجتمع فإن اللباس والطعام اختلف هو الآخر من طبقة إلى أخرى فكان لباس الطبقة الخاصة والأعيان يصنع من أجود أنواع الأقمشة والثياب، وقد امتلأت المائدة بعديد من الأطعمة غير أنها هي الأخرى اختلفت من طبقة إلى أخرى.

تميزت العادات الاجتماعية بالأندلس خلال الحقبة المرابطية فكان أهل الأندلس محسنين للهو والترف ومحبون للاحتفالات ذات الطابع الديني وأخرى أسري.

ملاحق

ملحق رقم 01: خريطة الأندلس[1]

[1]– حسن مؤنس، معالم وتاريخ الغرب والأندلس، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، 2004، ص509.

ملحق رقم 02: خريطة بلاد المغرب[1]

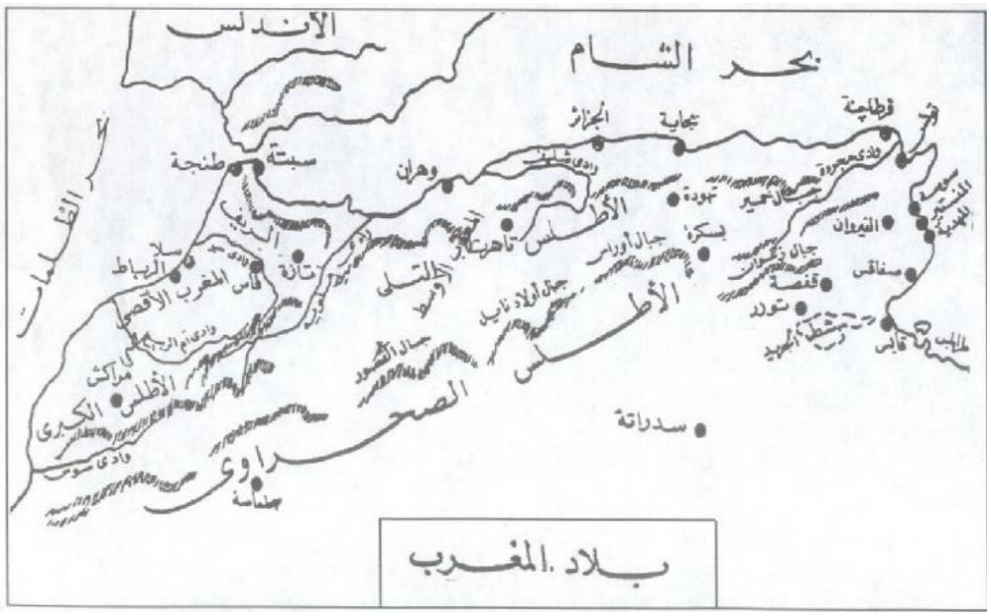

[1]– حسن مؤنس، مصدر سابق، ص508.

ملحق رقم 03: زخرفة مسجد قرطبة الجامع[1]

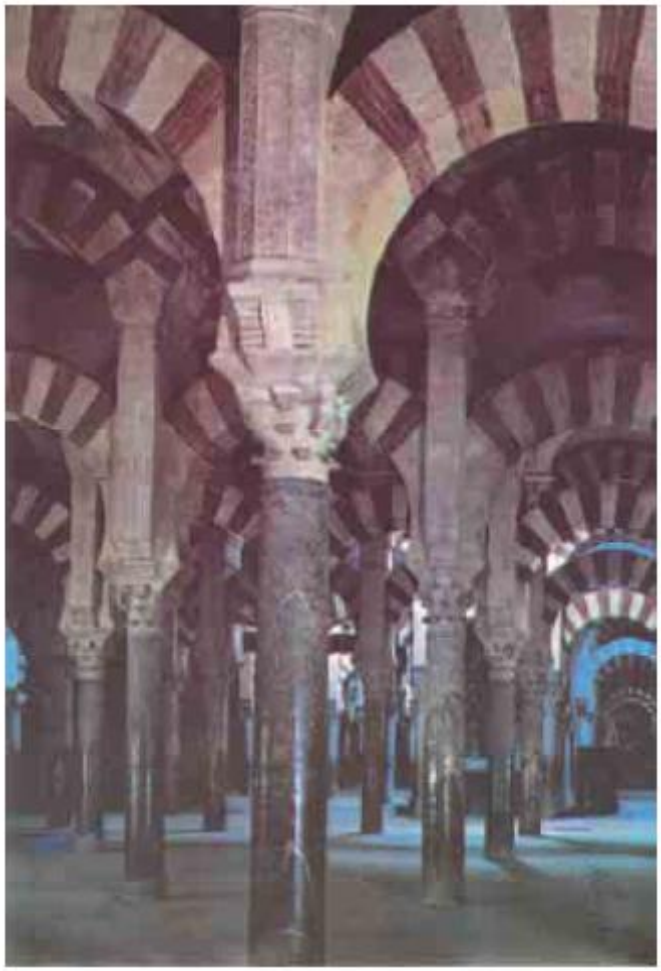

[1]– حسن المؤنس، المساجد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1981، ص340.

ملحق رقم 04: زخرفة القبة العظيمة قصر الزهراء[1]

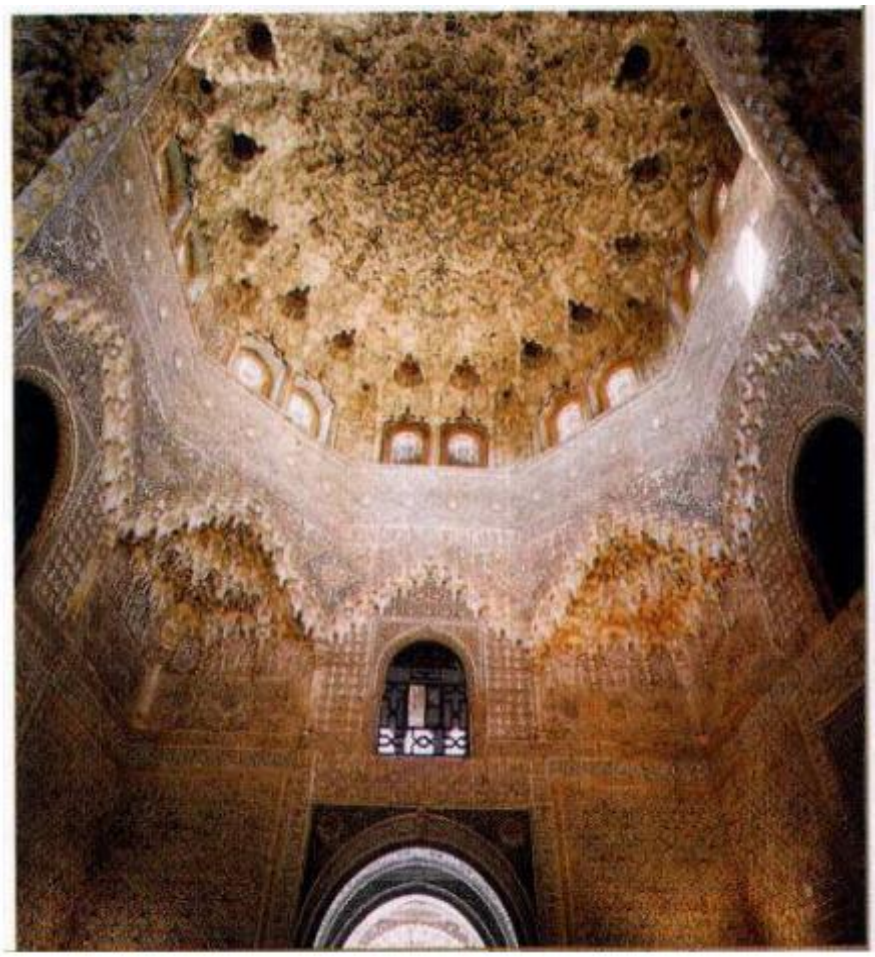

[1]– طارق السويدان، الأندلس تاريخ المصور، شركة الإبداع الفكري، ط1، الكويت، 2005، ص145.

ملحق رقم 05: زخرفة مدينة الزهراء [1]

[1] – طارق السويدان، المصدر السابق، ص164.

ملحق رقم 06: زخرفة بوابة قصر في اشبيلية[1]

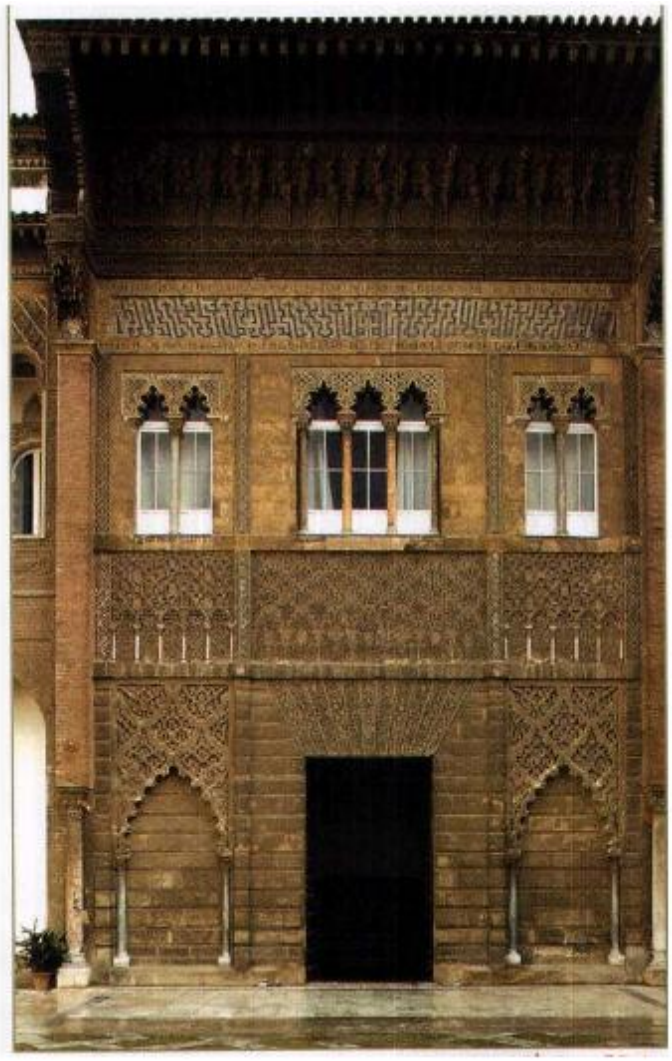

[1]- طارق سودان المصدر السابق، ص147

ملحق رقم 07: زخرفة قاعة من قاعات القصور الخالدة في اشبيلية[1]

[1] طارق السعيدان، المصدر السابق، ص267

ملحق رقم 08: زخرفة باب من أبواب مسجد قرطبة الجامع[1]

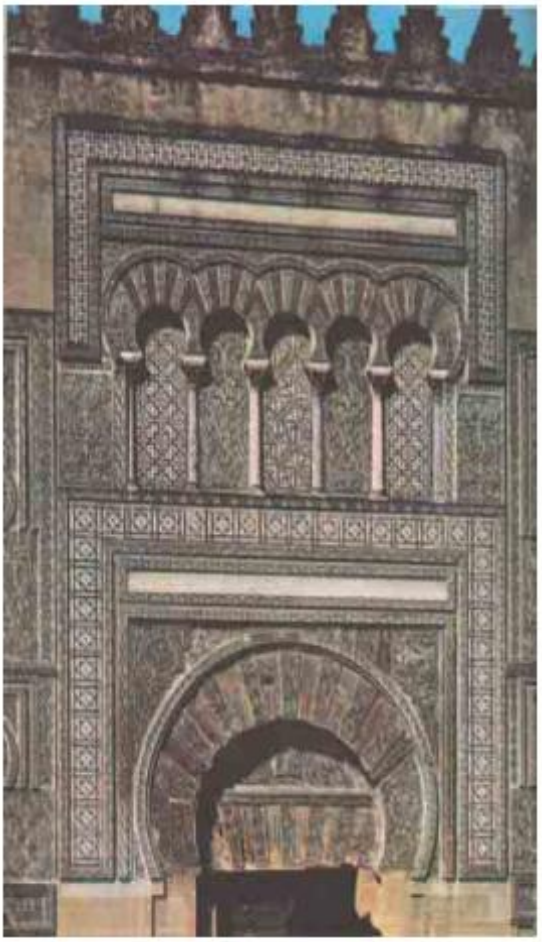

[1] حسن مؤنس، مصدر سابق، ص337

ملحق رقم 09: زخرفة ابريق منقوش ومزخرف من النحاس[1]

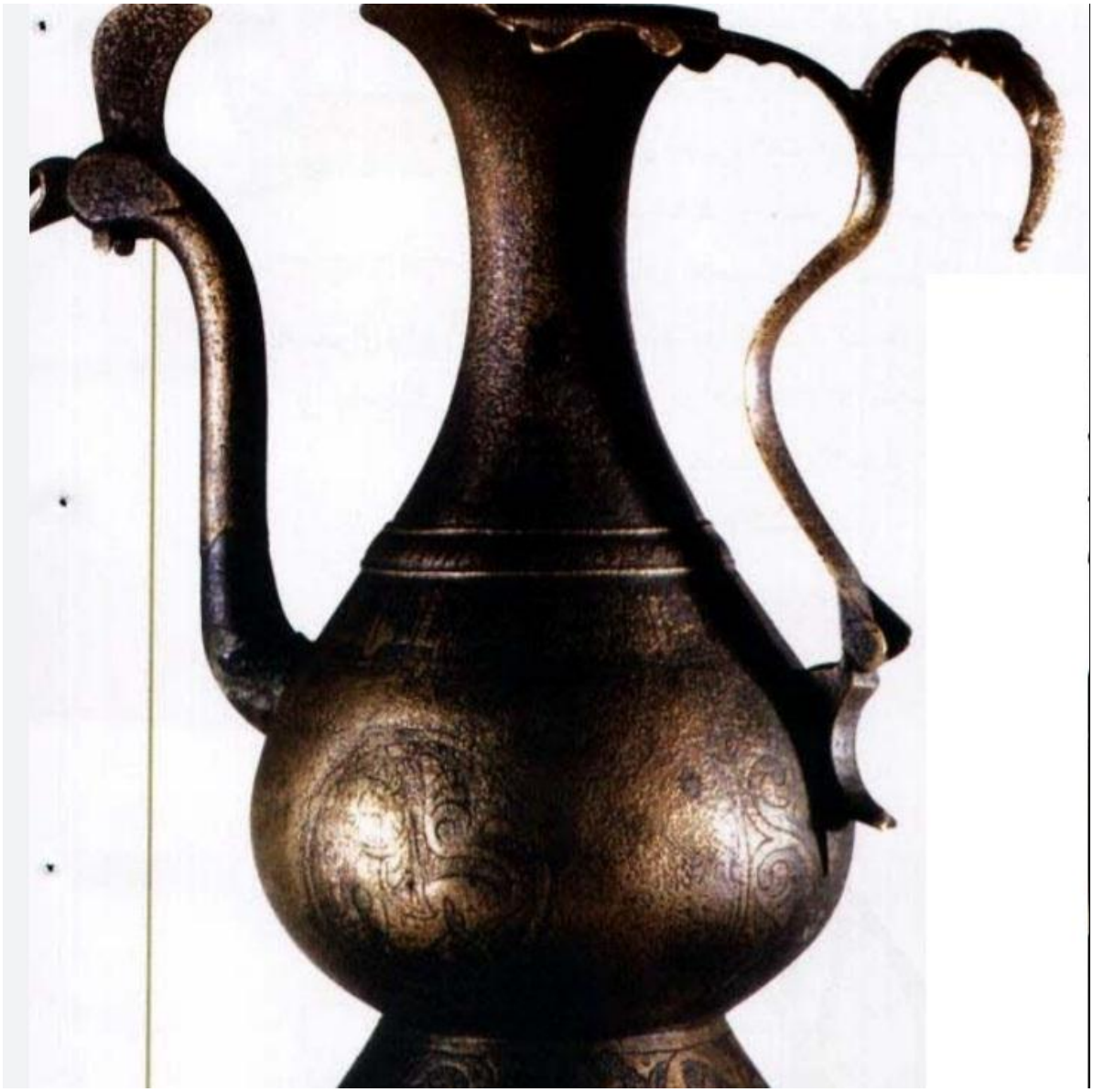

[1] طارق السويدان، المصدر السابق، ص222.

ملحق رقم 10: زخرفة قبة المحراب الجامع الاندلسي البديع في مسجد قرطبة الكبير[1]

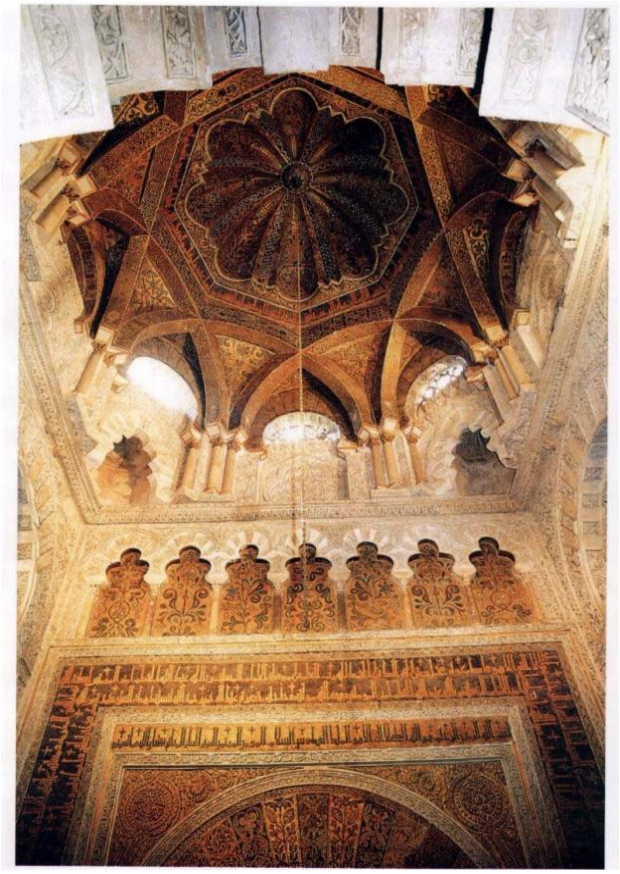

[1] طارق السويدان، المصدر السابق، ص 278.

ملحق رقم 11: زخرفة جرة من مدينة الزهراء من الخزف مزينة بالرسومات على الخزف المصقول[1]

[1] طارق السويدان، المصدر السابق، ص 165.

ملحق رقم 12: عود أربعة أوتار[1]

[1] عبد العزيز عبد الجليل، مدخل الى تاريخ الموسيقى المغربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن نافع

1. البخاري، الفتح كتاب المناقب باب فضل عائشة ،ج7،رقم 3775

2. رواه الترمذي، أبواب الزهد، عن الرسول صلى الله عليه وسلم ج4/رقم 2328.

3. رواه مسلم ،الرقاق ،باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار والنساء وبيان الفتنة بالنساء، ج4/رقم 2742.

4. تفسير الألوسي روح المعالي في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة بالهند، دس

5. صحيح مسلم، صحيح مسلم ،الشيخ عبد المحسن العباد، كتاب اللبس والزينة، رقم 2078 .

6. مسند الإمام أحمد، كتاب مسند الأنصار، باب حديث أبي عبد الرحمن سفينة مولى الرسول صلى الله عليه وسلم،5/220/رقم21969

قائمة المصادر

7. ابن الأبار لأبي عبد الله محمد لن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السراء ،ج2، حققه الدكتور حسين مؤنس دار المعارف ،القاهرة 1980م.

8. ابن الأثير أبي حسن علي إبن أبي أكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، ج2، بيت الاذكار العلمية، السعودية.

9. ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة،المجلد2،ط1.

10. ابن القطان: أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي، (ت 628هـ /1223م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح علي مكي المطبعة المهدية تطوان، المغرب ،د ت .

11. ابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ج5، دار الطبعة للنشر السعودية، 1999.

12. ابن حوقل، صورة الأرض، د ط، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت لبنان،1992م

13. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، لمقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط2،2006م.

14. ابن خلكان أبو العباس أحمد بن شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء الرمان ،ج5، تحقيق إحسان عباس، بيروت لبنان، د ت.

15. ابن عذاري المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4،تحقيق إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، 1967م.

16. ابن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط، الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب في العلوم الإنسانية، الرباط ،1997.

17. أبو الفداء، ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية،بيروت،ج7،ص 144

18. الإمامين الجلالين العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، العلامة جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، القرآن الكريم، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عنيت، دن، د . ط، شركة الشمرلي ،1977/05/05

19. البكري ابن عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المسالك والمماليك، يطلب من مكتبة المثنى ببغداد، د س.

20. البلاذري، أبو بكر، فتوح البلدان، ليدن، نشرة ذي غوجه،ج1،1866م،ص ص131 .132

21. بن جرير الطبري ،تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج3

22. بن سعد محمد ،الطبقات الكبرى،ج3،تحقيق الدكتور محمد عمر،الشركة الدولية للطباعة،1421ه/2001م

23. البيذق أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت ودولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م

24. التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان ،التشوف إلى رجال التصوف، تح علي عمر مكتبة الثقافة الدينية ،ط1، القاهرة مصر،2007م

25. طارق السويدان، الأندلس تاريخ المصور، شركة الإبداع الفكري، ط1، الكويت،

26. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري ،جامع البيان عن التأويل أي القرآن ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج17، ط1، القاهرة

27. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير،تاريخ الطبري،ج4،لبنان بيروت،دار الكتب العلمية،1995م

28. الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج5،لبنان،بيروت،دار الكتب،العلمية،1995م

29. عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، ج1، مكتبة السلام دار البيضاء ومكتبة المعارف الرباط.

30. الفاسي علي ابن أبي زرع، أنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الورقية، الرباط، 1972م

31. كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ واليسير، ج3، رقم 2082

32. مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق الدكتور سهيل زكار ،عبد القادر زمامة، دار الرشاد الأديثة، دار البيضاء ،1399ه /1979م

33. مجهول الطبيخ في الأندلس في عصر الموحدين، تحقيق ألوني ميراندا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية.

34. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تح محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون مطبعة الإستقامة بالقاهرة مصر

35. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد،نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،تح،إحسان عباس،دار صادر بيروت:1988م.

36. الهادي روجي الإدريسي، دولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري،نقله إلى العربية الحمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان، 1992م.

37. الونشريسي أحمدبن يحي ،المعيار المعرب والجامع المعرب عنى فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دكتور محمد حجي ،ج1

قائمة المراجع:

38. أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب الجهاد في الأندلس، كلية الأداب، جامعة إسكندرية، مصر، 2000م

39. أم د:أركان طه عبد،م د:نصيربهجت فاضل،فتوحات الدولة العربية الإسلامية،(41.11ه)(661.632م)،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية ومحكمة)،مجلد 6،العدد19،(2014م/1435ه)

40. الامام اليافعي أبي محمد بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان، ج3، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، 1418هـ /1998م

41. البهجي إيناس حسنة، دولة المماليك البداية والنهاية ،ط1، إسكندرية ،دار التعليم الجامعي، 2010.

42. بوتشيش إبراهيم القادري ،المغرب والاندلس في عصر المرابطين ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ،1993.

43. بوتشيش إبراهيم القادري بوتشيش، أثر الأزمة الأخلاقية في سقوط الدولة دولة الإسلام للأندلس، بحوث ندوة الاندلس، دار المعرفة جامعة، إسكندرية مصر، 1994م.

44. بوفلاقة سعيد ،الشعر النسوي الأندلسي، د ط، دار الفكر بيروت لبنان،2003م

45. جرجي زيدان، عبد الرحمان الناصر، جمهورية مصر العربية،2012.

46. حركات إبراهيم ،المغرب عبر التاريخ في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين، دار الرشاد الحديثة،ج1، 1420هـ 2000م

47. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ،ط1، الناشر بمكتبة مصر، 1980.

48. الحسن عيسى، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط2، مملكة الأردنية الهاشمية عمان ،وسط البلد، 2011 م .

49.حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري من المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الهيئة العامة لمكتبة إسكندرية مصر ،د ط، 1997م

50. حمدي عبد المنعم محمد حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، جامعة الإسكندرية، 1993.

51.الحناوي مصطفى محمد ،تاريخ الخلفاء الراشدين، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة شركة جمال أحمد، عمان الأردن،1434هـ/2013م

52. خالص صلاح ،اشبيلية القرن الخامس هجري، دراسة أدبية تاريخية نشوء دولة بني عباد في اشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها،414هـ461هـ،د ط، دار الثقافة بيروت لبنان ،1995م

53. د.الشرابي نهال خليل ،د. البارودي هديل يوسف ،تاريخ الخلافة الأموية،ط1،دار الفكر الناشرون والموزعون، مملكة الأردنية الهاشمية،عمان،1431هـ 2010م.

54. دايفيد وينز: فنون الطبخ في الأندلس، تر عبد الواحد لؤلؤة، مركز الدراسات الوحدة العربية الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،بيروت،1999م،

55. دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، د ت.

56. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، السيرة النبوية: تح دكتور عمر عبد السلام التدموري، د س، د ط، دار الكتاب العربي.

57. سالم عبد العزيز ،تاريخ العرب قبل الإسلام،مؤسسة سباب الجامعة الإسكندرية،مصر.

58. سحر عبد العزيز سالم، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحوث ندوة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1994م

59. السلماني عبد الله طه ،تاريخ الخلفاء الراشدين،ط1،دار الفكر الناشرون والموزعون،المملكة الأردنية الهاشمية،عمان،1431هـ .2010م

60. السيد سالم عبد العزيز ،العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة علي الفكر، المجلد9،أبريل 1977م.

61. الشريف محمد موسى ،الترف وأثاره في دعاة والصالحين ،ط2،دار الأندلس الخضراء، السعودية، 2004م

62. الشهري خالد بن محمد، قصة الترف،ط1،1433هـ/2012م.

63. طاقوش محمد سهيل ،التاريخ الإسلامي الوجيز،دار النفائس،ط5،2011م

64. طه جمال أحمد، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين،دار الوفاء الإسكندرية ،2003م

65. طويل مريم قاسم ،مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادة 484.443هـ/1091م،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1994م

66. عبد العزيز عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسقى المغربية، صدرت السلسة في يناير 1978م بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923م 1990م، سلسلة كتب الثقافية شهيرة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 1983م،

67. عويس عبد الحليم، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، بدار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر،1994م

68. فكري أحمد، قرطبة في العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شهاب جامعة الإسكندرية، مصر،1983م

69. الكاندهلوي محمد يوسف، حياة الصحابة، تح : دكتور بشار عواد معروف، ط1، بيروت لبنان، 1420 ه /1999 م

70. كمال أبو مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الناشر لمؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية مصر،د ط، 1997م

71. ماجد عبد المنعم، تاريخ السياسي للدولة العربية، عصور الجاهلية والنبوة وخلفاء الراشدين، ط4، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1967م

72. المالقي السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد الأندلسي 7ه/13م، الحسبة المحتسب، ترجمة ليفي بروفنسال، المعهد المتوسط العربي،باريس،1931م

73. محمصاني صبحي ،تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء،دار الملاين،بيروت،ط1،1984م

74. محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، قاهرة مصر،ص183

75. المنجد محمد صالح، الترف، ط1 ،المملكة العربية السعودية خبر، جدة ،1430 ه 2009

76. الناصري أبو عباس أحمد، الاستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تحقيق وتعليق صاحي السعادة، حقوق الطبعة محفوظة لدى دار البيضاء، 1954م

77. النجار عبدا لمجيد، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983م

78. الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، د ط، مكتبة الإيمان، المنصورة، د ت.

79. وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ط4،الأهلة للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية،عمان، الأردن.

80. اليعقوبي أحمد بن إسحاق، ،مشاكله الناس لزمانهم،دار الكتاب الجديد،بيروت،1980م

الموسوعات:

81. طحبوب صلاح ،موسوعة التاريخ الإسلامي للعصر الأموي،دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن،عمان 2004م

القواميس والمعاجم:

82. أنيسة بن جاب الله، النظرية النقدية عند عبد الكريم النهشلي، مذكرة نيل شهادة ماجستير في الأدب العربي، تخصص النقد الأدبي، كلية الآداب ة اللغات ،قسن الأدب العربي، جامعة محمد خيضر،2010م،

83. الجيلالي عابد، الترف وأثره في سقوط الأندلس،مذكرة الماجستار في العلوم الإسلامية ،1436هـ 2015م.

84. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله يقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجما لبلدان ،ج3،دار صادر بيروت

85. خالد الجبالي، الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة 92هـ 399هـ، د ن، مكتبة الأدب، القاهرة مصر، د ت،

86. خميسي بولعراس،الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف 400هـ . 479هـ/1009م . 1886م، مذكرة شهادة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة الحاج لحضر/ باتنة، 2007م،

الرسائل الجامعية:

87. رينهارت دوزي، المستشرق الهولندي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، دار عربية للمسوعات، بيروت لبنان ،1433هـ2012م

88. شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي في عهد الموحدين،524هـ667هـ /1126م . 1268م، رسالة ماجستير في تاريخ الإسلامي الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2008/2007م.

89. ضيف شوقي، المعجم الوسيط، ط4،مكتبة الشروق الدولية جمهورية مصر العربية، 1425هـ / 2004م

90. عبد العزيز جاج كولة، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال فقه النوازل في القرنين 6.5هـ/12.11م، مذكرة شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، جامعة الجزائر،2009م

91. عيسى بن ذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية،رسالة الدكتورة في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009م

92. الفيروزا بادي الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسوسي، طبعة فنية منقحة مفهرسة،ط8،بيروت لبنان،1426هـ/2005م

93. مريامة لعناني، الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين،مذكرة شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، جامعة قسنطينة، د ت.

94. مزاعي سمير، السلطة والمجتمع في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م، رسالة الدكتورة في تاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الأثار،2018م.

نادر فرج زيارة، الترف في المجمع الإسلامي الأندلسي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وأثار بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة فلسطين،2010م.

فهرس المحتويات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة

الفصل التمهيدي

لمحة تاريخية عن البذخ والترف

1 . تعريف الترف ..... 2 ـ 3

2 . تعريف البذخ 3

3 . الترف في القرآن الكريم ..... 4 ـ 7

4 . الترف في السنة ..... 7 ـ 9

5 . حياة الصحابة على عهد النبوة (المدينة المنورة)

أ . زهد النبي صلى الله عليه وسلم ..... 9 ـ 10

ب . مسكن ولباس وطعام النبي صلى الله عليه وسلم ..... 11 ـ 12

6 . الترف عند المسلمين 12

7. الفرق بين الخلافة والملك ..... 12 ـ 13

8 . نماذج عن كبار الصحابة رضوان الله عليهم

أ . أبي بكر الصديق رضي الله عنه 13

ب . عمر بن أبي الخطاب رضي الله عنه 14

جـ . الأمين عثمان بن عفان رضي الله عنه 15

د علي بن أبي طالب رضي الله عنه 16

هـ . أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .....16 ـ 17

ر. يزيد بن معاوية(60 . 63 هـ/680 . 683م) 18

9 . نماذج عن الدولة العباسية والدولة الأموية

أ . الخلافة العباسية 19

ب . العهد الأموي 20

. إنجازات عبد الرحمان ناصر ..... 21 ـ 22

10. الفتوحات وتأثير ذلك على المسلمين فتح الشام وفارس

أ – فتح بلاد الشام ..... 22 ـ 23
ب – فتح بلاد فارس ..... 24 ـ 26

الفصل الأول :

مظاهر الترف في المغرب

المبحث الأول: مظاهر الترف والبذخ عند المرابطين
1. الأطعمة ..... 29 ـ 30
2. الملابس ..... 31 ـ 34
3. الاحتفالات ..... 35 ـ 37
4. وسائل التسلية ..... 38 ـ 39
5. العمران ..... 40 ـ 41
المبحث الثاني :مظاهر الترف والبذخ عند الموحدين
1. الطعام والشراب ..... 42 ـ 46
2. الملابس ..... 47 ـ 48
3. الاحتفالات ..... 49 ـ 52
4. وسائل التسلية 53
5. العمران ..... 54 ـ 55
المبحث الثالث : مظاهر الترف والبذخ عند الصنهاجين
1. الأطعمة 57
2. الملابس 58
3. وسائل التسلية 59
4. المسكن ..... 60 ـ 61

الفصل الثاني :

مظاهر البذخ والترف في الأندلس

المبحث الأول : الدولة العامرية على عهد الخلافة الأموية
1. مظاهر الترف الاجتماعية (الجواري، الرقيق، الغناء والموسيقى، الطعام و الشراب ، الملابس).65 ـ 69
2. مظاهر الترف العمرانية (الزهراء، الزاهرة،الأسوار والحصون والقلاع، المسجد والجامع) .... 70 ـ 76
المبحث الثاني : ملوك الطوائف

1. مظاهر الترف الاجتماعية (الجواري، الرقيق، الموسيقى والغناء، الطعام، الملابس، الاحتفالات)77 ـ 85
2. مظاهر الترف العمران ..... 85 ـ 87
المبحث الثالث : مظاهر البذخ والترف عند المرابطين
1. الطعام ..... 88 ـ 89
2. اللباس ..... 90 ـ 92
3. الموسيقى والغناء 93
4. الاحتفالات ..... 94 ـ 95
خاتمة ..... 97 ـ 98
الملاحق ..... 100 ـ 111
قائمة المصادر والمراجع .....113 ـ 119
فهرس

ملخص :

. يعتبر البذخ والترف مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية التي انتشرت في بلاد الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) ،وازداد توسعا خلال القرن الرابع والخامس هجري، وخاصة فترة ملوك الطوائف والدولة العامرية على عهد الخلافة وعم البذخ والترف حياة السلاطين والأمراء الذين كانوا يعشون الثراء والتنعم، أدى بهم إلى الانغماس في ملذات الدنيا. وكان بعض العلماء والفقهاء دور كبير في الحد من التمادي في حياة الترف والبذخ وذلك بقيامهم بنصح والإرشاد، كونهم لمخالفة الشريعة والقيم الإسلامية التي تعود عليها أهل المغرب خاصة.

Abstract :

Extravagance and luxury is a manifestation of social life that spread in the countries of the Islamic West (Morocco and Andalusia), and expanded during the fourth and fifth centuries AH, especially the period of the kings of the sects and the Amiri state during the era of the caliphate and the life of sultans and princes who lived in wealth. And enjoyment, led them to indulge in worldly pleasures. Some scholars and jurists played a major role in limiting the persistence in a life of luxury and extravagance by advising and guiding, as they are in violation of Sharia and Islamic values that the people of Morocco are accustomed to in particular.